ملف المستقبل ..

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل ..

د. نبيل فاروق

1 ـ العـــودة ..

على الرغم من أن قرص الشمس لم يكن قد أكمل مسيرته تمامًا ، نحو خط الغروب ، إلا أن ظلاً ضخمًا راح يتحرّك فى سرعة ، عبر أطلال (القاهرة) الجديدة ، فى ذلك العصر المتقدّم ، وكأنه لم يعد يبالى بالدوريات المدنية ، التى تستعد لتفقد الأماكن ، فور غروب الشمس ..

وفى جرأة مدهشة ، لا يجرؤ عليها كبار رجال المقاومة أنفسهم ، عَبَرَ ذلك الضخم شارعًا رئيسيًّا قديمًا ، لا يخفيه شىء عن الأنظار ، واتجه مباشرة نحو بقايا بناية ضخمة ؛ ليختفى بينها تمامًا ، على الرغم من ضخامته ..

وبين أطلال البناية ، راح الضخم يعدو ..

ويعدو ..

ويعدو ..

حتى بلغ منطقة ذات سقف متهدّم ، توقّف عندها أمام جدار قديم ، وتلفّت حوله لأوّل مرة ، قبل أن يضغط أحد أحجار الجدار ، ثم يتراجع خطوة إلى الخلف ، وينتظر حتى دار الجدار حول محور خفى ؛ ليكشف من خلفه حجرة القيادة التكنولوجية لمقر الزعيم الأكبر ..

الذئب ..

وبسرعة عَبَرَ الضخم ذلك الباب السرى ، الذى أُغلِقَ خلفه فور عبوره ، ووقف فى دائرة كبيرة ، بدا من الواضح أنها موجودة خصيصًا ، حتى انبعث من فوقه شعاع بنفسجى هادئ ، غمر جسده الضخم كله لحظات ، ثم اختفى تمامًا ، لينفتح باب خفى آخر داخل الحجرة ، ويخرج منه الذئب ، عاقدًا كفيه خلف ظهره ، وهو يقول ، فى لهجة صارمة ليس لها ما يبرِّرها ، سوى إحساسه القوى بزعامته للجميع :

ـ خيرًا أيها الدُب .. ترى ما سر هذه الزيارة المفاجئة ، دون اتفاق مسبق ؟

زمجر الدُب فى غضب ، وهو يقول فى حدة :

ـ المفترض أن كلينا زعيم .

أجابه الذئب ، فى صرامة أكثر :

ـ هل سنناقش هذا الأمر فى كل مرة ؟!

مطَّ الدُب شفتيه فى ضيق ، وأشاح بوجهه ، مغمغمًا فى خفوت شديد :

ـ كلاً .

اعتدل الذئب ، وشدَ قامته أكثر ، وهو يقول :

ـ حَسَنٌ .. ماذا لديك ودفعك إلى المجازفة بالحضور إلى هنا ، فى أسوأ وقت ؟!

استعاد الدُب انفعاله وتوتره ، وهو يجيب فى سرعة :

ـ صفارات الإنذار الكبرى انطلقت هناك .

انعقد حاجبا الذئب ، وهو يتساءل ، فى توتر حذر :

ـ هناك ؟!

هتف الدُب ، وقد تضاعف انفعاله :

ـ هناك ، فى ذلك الحصن .

ازداد انعقاد حاجبى الذئب ، وهو يقول ، وقد انعكس عليه انفعال الدُب :

ـ الحصن ؟!.. مقر المخابرات التكنورقمية .

هتف الدُب ، وهو يلوِّح بسبَّابته :

ـ بالضبط .

بلغ انعقاد حاجبى الذئب أقصاهما ، وهو يحدِّق لحظات فى وجه الدُب ، قبل أن يشيح بوجهه ، ويغمغم :

ـ صفارات الإنذار !..

راح يتحرّك عشوائيًا فى المكان ، وهو يفكّر فى عمق شديد ، ولاذ الدُّب بالصمت التام كعادته ، فى مثل هذه الظروف ، ولم ينبس ببنت شفة ، وهو يتابع حركة الذئب ، حتـى توقّف هذا الأخير ، وغمغم ، وكأنه يحدّث نفسه :

ـ عظيم .

تفجّرت دهشة عارمة فى وجه الدُّب ، وهو يردّد :

ـ عظيم ؟!

التفت إليه الذئب ، قائلاً :

ـ نعم ، عظيم .. انطلاق صفارات الإنذار هناك ، يعنى أن الأمور قد تفجرت ، على نحو يصعب إخفاؤه .

ثم عاد يتحرّك ، وهو يشير بسبَّابته ، مكملاً :

ـ أنت تعرف هؤلاء الأوغاد جيدًا .. لا يرغبون فى نشر غسيلهم القذر أبدًا ، ومهما حدث داخل أسوارهم ، فهم يقونه سرًا ، وإطلاقهم صفارة إنذار كهذه ، يعنى أن الأمور قد بلغت ما لا يمكن أن يخفوه .. أو على الأقل ، ما لا يحتمل أن يخفوه .

تساءل الدُّب فى حيرة مندهشًا :

ـ وهل هذا فى صالحنا ؟!

أجابه الذئب فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

ثم التفت إليه ، مردفًا :

ـ لو أن ..

نطقها ، ولاذ مرة ثانية بالصمت ..

فلم يكن يحلو له أن يكمل ..

كان فقط يتذكّر ..

والواقع أن ذاكرته لن تبلغ حتى عُشر ما حدث ..

ربما لأنه يجهله ..

فمنذ فقد (نور) وفريقه وعيهم ، فى ذلك الكهف الرهيب ، وهم يصارعون عدوًا لم يروه أبدًا ، استعادوا وعيهم فجأة ، فى زمن يتجاوز زمنهم بثلاثين عامًا كاملة ..

ثلاثين عامًا فصلت بينهم وبين زمنهم ..

وعصرهم ..

وعلومهم ..

ومعارفهم ..

استيقظوا فى عصر يجهلون كل شىء عنه ..

عصر تحوّلت فيه مخابراتهم العلمية إلى مخابرات تكنورقمية ، وصار فيه من كانوا صغارًا قادة ..

عصر خرجت فيه (مصر) من حرب طاحنة ، دمرت بنيتها الأساسية تمامًا ، وعادت بها إلى سنوات طويلة ، فى سلم الحضارة ..

وبقيت فئة واحدة ، تملك التكنولوجيا ..

تكنولوجيا الغد ..

تلك الفئة كانت تحكم العالم الجديد ..

والباقون يقاومونها ..

وكما يحدث دومًا ، دارت حرب خفية ومعلنة بين القادة والمقاومة ..

وبقى (نور) وفريقه فى المنتصف ..

لم يدركوا ماذا يحدث حولهم بالضبط ، إلا عندما أرادوا رؤية تلك النسخة من (الزوريوم) الحيوى ، التى تحوّلت إلى شبيه ، يحوى كل طاقة (محمود) البشرية ..

ومع تصرفات ذلك القائد الأعلى الجديد ، الذى ينتحل شخصية الرائد (أيمن) ، الذى لقى مصرعه قديمًا ، أدركوا أنهم ليسوا فى الجانب الصحيح ..

وأن عليهم عبور الأسوار إلى هناك .

إلى الأطلال ..

إلى قلب (مصر) الحقيقى ..

إلى صفوف المقاومة ..

ولكن القائد الأعلى الجديد نجح فى إيجاد (مشيرة) ، واستغلها ليدفع (أكرم) إلى خيانة رفاقه وفريقه ..

وقرّر الفريق كله أن ينقذ (مشيرة) ..

ووضع خطة محكمة لهذا ..

ولكن انفعال (أكرم) دفعه إلى بدء الخطة ، قبل موعدها بدقائق قليلة ..

من أجل المرأة التى أحبها طيلة عمره ..

من أجل (مشيرة) ..

وهنا أطلق القائد الأعلى الجديد صفارة الإنذار الكبرى ..

وأمر بتصفية الجميع ..

بتصفية فريق (نور) بأكمله ..

وفورًا(*) ..

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزأين ، الأوّل والثانى (عالم جديد) ، (وأطلال الماضى) المغامرتين رقمى (156) ، و(157)

لم تكد صفارة الإنذار الكبرى تنطلق ، حتى ضاعف (أكرم) من سرعته ، وهو ينطلق نحو الممر ، الـذى يقود إلى حيث يحتجـزون (مشيرة) ..

لم يكن يدرى ما الذى سيصيبه بالضبط ..

ولكن ما كان ليتراجع أبدًا ..

أبـدًا ..

كان يدرك أن ذلك الممر التكنولوجى الرهيب يمتلك القدرة على تحديد بصمته الجينية فور عبوره إياه ، بوسيلة لم تكن موجودة فى عصره ، ولو كشف أنه ليس من المخوّل لهم عبوره ، فسيتحوّل إلى أتون من اللهب فورًا ، تبلغ حرارته خمسة آلاف درجة مئويـة ، وهناك شبكة خيوط الليزر القاتلة ، وتلك الشحنة الكهربية ، التـى تبلغ نصف مليون وات ..

كل هذا عليه أن يتجاوزه ، قبل أن يصل إلى (مشيرة) ..

وعندما يصل إليها ، يبدأ خوفه الحقيقى ..

فإن لم تنجح (نشوى) ، وتربح خطة (نور) ، وتتمكّن (سلوى) من خداع الجميع ، فى عصر يفوق علومها بثلاثين عامًا أو يزيـد ، ستكون الكارثة ..

مقر (مشيرة) سينفجر ..

سينفجر وينسف كل شىء .

المكـان ..

والممر ..

وهـو ..

و(مشيرة) ..

عندما جال بخاطره اسم الأخيرة ، ارتجف جسده ..

عندها فقط ارتجف ..

لابد أن ينقذها ، أيًا كان الثمن ..

أيًا كان ..

فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها يعدو ، نحو ذلك الممر القاتل ، أهمل (نور) كل ما يفعله ، وتجاهل حتى آلات المراقبة فى كل مكان ، بل استغل وجودها ؛ ليصرخ بكل قوته :

ـ الآن .

وفى لحظة واحدة ، استقبل فريقه كله ذلك الأمر ، عبر شبكة الاتصالات ، التى صنعتها (سلوى) من مشغل الموسيقى ، دون أن ينتبه أحد ..

وفى لحظة واحدة أيضًا .. تحركوا ..

كان رجال الأمن ينتشرون فى المكان كله ، فى تحفز تام ؛ للقضاء على (نور) وفريقه ، أو اعتقالهم على أقل تقدير ، ولكن فجأة ، توقفت صفارات الإنذار ، وانقطعت كافة الاتصالات ، بين رجال الأمن والقيادة ..

وفى مقره ، هبّ القائد الأعلى من مقعده ، عندما انطفأت شاشته الهولوجرامية وتلاشت دفعة واحدة ، وصرخ فى غضب هادر :

ـ لا .. لا يمكنهم هذا .

اندفع بكل غضبه ، محاولاً تشغيل الشاشة الرقمية الاحتياطية ، وتفعيل وسائل الأمن ..

ولكن هيهات ..

لم يستجب له أى شىء ..

أى شىء على الإطلاق ..

كل الأجهزة ، على الرغم من تكنولوجيتها العالية ، وتقنياتها المدهشة ، توقفت عن العمل ..

كل أجهزة الرصد ..

والمراقبة ..

والاتصالات ..

وصرخ القائد الأعلى فى ثورة :

ـ مستحيل !. مستحيل أن يمكنهم هذا .. إنها تكنولوجيا تفوق عصرهم بثلث قرن كامل .

احتقن وجهه فى شدة ، وتلاشى عنه قناع (أيمن) الزائف ، وتلفّت حوله فى عصبية شديدة ؛ بحثًا عن أى شىء يمكنه استخدامه ..

إنها تلك الخبيرة حتمًا ..

(نشوى) ، خبيرة الكمبيوتر والبرمجة ..

وحدها يمكنها أن تفعل هذا ..

لقد أفسدت نظام الكمبيوتر كله ..

استغلت تلك الثغرة الهائلة فى تكنولوجيا الغد ، التى صارت تعتمد بنسبة مائة فى المائة على أجهزة الكمبيوتر ..

وأوقفتها ..

أوقفتها ، أو سيطرت عليها ، بوسيلة ما ..

لم يكد ذلك الخاطر الأخير يجول بذهنه ، حتى سرت فى جسده ارتجافة عنيفة !..

تُرى أهذا ممكن ؟!..

هل يمكن أن تنجح تلك المقاومة من الماضى ، فى السيطرة على كمبيوتر المستقبل ، الذى يفوق علومها بأكثر من ألف مرة ؟!..

هـل ؟!..

احتقن وجهه أكثر ، واشتعل غضبه كما لم يشتعل من قبل ، واندفع نحو الجدار ؛ ليغادر حجرة القيادة ، و ...

وارتطم به فى عنف ..

الجدار لم يتموّج ويتغيَّر ، كما كان يحدث من قبل ..

لقد ظل على حالته الصلبة ، التى لم يعتدها قط ، بعد أن انقطع اتصاله بالكمبيوتر المركزى ، الذى يدير كل شىء ..

وبكل غضبه ، صرخ القائد الأعلى ..

صرخ ..

وصرخ ..

وصرخ ..

داخل مقره المغلق ، كان لصرخته صدى عجيب ..

عجيب للغاية ..

صدى أشبه برنين معدنى حاد ، وليس بصوت بشرى تقليدى ..

وبكل هذا الغضب ، تطلَّع إلى الجدار ، قائلاً :

ـ أنتم لا تدركون من تواجهون ، يا فريق الماضى .

توقَّف فى مكانه ، وشدَّ قامته فى قوة ، وهو يرفع رأسه إلى أعلى ، على نحو عجيب ..

وعلى الرغم من غياب التحكُّم التكنولوجى تمامًا ، راح جسده يتألَّق بضوء أخضر باهت ..

وراح تألُّقه يتزايد ..

ويشتد ..

ويقوى ..

وفى ثوانٍ معدودة ، صار القائد الأعلى أشبه بمصباح ضوئى شديد التألُّق ، غمر المكان كله بضوء أخضر قوى ..

وفى بطء ، اتجه نحو الجدار ..

ولمسه بأطراف أصابعه ..

ومع لمسته ، تفاعل الجدار ، وكأنه قد استعاد كامل طاقته ، فتموَّج لحظات ، ثم ظهرت فيه تلك الفجوة ، التى عبرها القائد الأعلى ، ثم عاد يقف ثابتًا ، ليخبو تألُّقه ..

ويضـعف ..

ويخفـت ..

ثم ينتهى ..

لحظتها فقط ، استعاد وجه (أيمن) ، وغمغم :

ـ الآن ستعرفون .

قالها فى منتهى العزم والحزم ، ثم اتجـه نحو الممر الطويـل ؛ ليقود رجال أمنه فى معركتهم ..

معركتهم ضد (نور) وفريقه ..

فريق المـاضى ..

والمســتقبل ..

* * *

لم يدر (أكرم) كل ما حدث ..

ولكنه اقتحم الممر الرهيب ..

لـم يكن هنـاك حـرّاس فـى البدايـة ، ولكنـه عندمـا اقـترب مـن مدخله ، فوجئ برجلـى أمـن مسلحين ، يندفعـان مـن الجـانبين ؛ ليسدا عليه الطريق ..

وفى لحظة واحدة ، سدَّد كل منهما مسدسه التردُّدى نحوه ، و ...

ولكن يبدو أن حبه لزوجته (مشيرة) ، قد بث فى جسد (أكرم) قوة هائلة ، لم يعهدها هو نفسه فى نفسه ، منذ وعت عيناه الوجود ..

لقد رأى المسدسين مصوبين إليه ، فوثب ..

وثب وثبـة لم يثب مثلهـا فى حياته قط ، جعلته يعلو إلى قـرب السقف ، وهو يندفع نحو الرجلين ..

أطلق أحدهما مسدسه التردُّدى بالفعل ، ولكن تلك الموجة الغيفـة تجاوزت (أكرم) ، وارتطمت بالجدار ، فهدمت جزءًا منـه ، قبل أن ترتدّ إلى الجدار المقابل ، وتعبر تحت قدمى (أكرم) مباشرة ، وهو يهبط نحو الآخر ، الذى لم يجد الوقت ليطلق مسدسه بعد ..

وحتى (أكرم) نفسه لم يمكنه وصف ما فعله فى تلك اللحظات ..

كل ما يذكره هو أنه أطلق قبضته ، وقدميه ، ودار ، ولكم ، وركل ، وقفز ، و ...

وفجأة ، وجد نفسه عند بداية الممـر ، والرجـلان ملقيـان أرضًـا ، إلى يمينه ويساره ..

ولكنه لم يضيع لحظة واحدة ، ليلقى حتى نظرة سريعة عليهما ..

كل ما كان يملأ ذهنه ، هو أن الطريق خال ..

وأن (مشيرة) تنتظره هناك ..

فى نهايته ..

وعليه أن يصل إليها ..

وينقذها ..

وبأى ثمن ..

تجاهل كل ما يعلمه ، وكل التحذيرات ، وكل النتائج المحتملة ، وانطلق يعدو عبر ممر الموت بكل قوته ..

كانت تلك الأضواء الباهتة مطفأة فى البداية ، إلا أنه لم يكد يقطع عدة أمتار ، ويبلغ منتصفه تقريبًا ، حتى أضيئت كلها دفعة واحدة ..

ثم تألقت الجدران كلها ..

تألقت بوهج أحمر مائل إلى الصفرة ، أشبه بوهج النيران ..

أو قل هو وهج نيران ..

نيران تستعد لتحويل الممر كله إلى أتون ..

أتون مشتعل ..

أتون لا يمكن بل يستحيل أن يحتمله بشر ..

على الإطلاق ..

* * *

2 ـ النيـــران ..

« لست أفهم !.. »

قالها الدُب فى عصبية شديدة ، جعلت الذئب يلتفت إليه ، ويتطلّع إلى ملامحه لحظات فى صمت ، قبل أن يقول فى هدوء عجيب :

ـ لم تفهم ماذا ؟!

لوّح الدُب بذراعه كلها ، هاتفًا :

ـ لم أفهم أى شىء .. أنت تدير الأمور كلها وحدك ، وتلقى أوامرك للجميع ، بما فيهم أنا ، وكأنك الزعيم الأوحد لكل فصائل المقاومة .. إنك حتى لم تخبرنا ما الذى تعتزمه من كل هذا بالضبط !.. ألسنا زعماء مثلك .

عقد الذئب كفيه خلف ظهره ، وتطلّع إليه لحظات أخرى فى صمت صارم ، قبل أن يقول :

ـ من تقصد بصيغة الجمع هذه ؟!

هتف الدُب فى عصبية :

ـ باقى الزعماء .. (طارق) ، و(محمود) ، و ... وأنا .

أجابه فى صرامة قاسية :

ـ أنت تعلم أنهما ليسا زعيمين بالمعنى المعروف .

زمجر الدُب ، قائلاً :

ـ ولكنك جعلتهما كذلك .

صاح به الذئب فى حدة :

ـ ولكنَّ كلينا يعلم أنهما ليسا زعيمين حقيقيين .

هتف الدُب ، فى حدة مماثلة :

ـ وماذا عنى ؟!

اعتدل الذئب ، وهو يقول فى حذر :

ـ ماذا عنك ؟!

صاح فى غضب :

ـ أنت لا تعاملنى أبدًا كزعيم .

اعتدل الذئب ، وتطلَّع إليه بضع لحظات ، فى صمت تام ، قبل أن يعقد كفيه خلف ظهره مرة أخرى ، مغمغمًا :

ـ لقد نجحوا فى فعلها إذن ؟!

جذبت العبارة انتباه الدُب ، وجعلته يسأل فى حيرة :

ـ نجحوا فى ماذا ؟!.. ومن تقصد ؟!

أجابه الذئب ، فى أسف واضح :

ـ الزعماء السابقين .. لقد نجحوا فى أن يوغروا صدرك ضدى ، على الرغم من صداقتنا القديمة ، والثقة المتبادلة بيننا .

قال الدُب ، وجسده كله ينتفض انفعالاً :

ـ لا شأن للزعماء السابقين بهذا .

قال الذئب بنفس الأسف :

ـ هل تعتقد هذا حقًا ؟!

ثم اتجه نحوه ، وهو يحرِّك كفيه على نحو مسرحى ، مكملاً :

ـ كنت أتصوَّر أن الثقة ، التى اعتدناها بيننا ، ستصنع حاجز نيران أمام كلماتهم .

ارتبك الدُب ، وهو يغمغم :

ـ كلماتهم لم ..

قاطعه الذئب ، وهو يواصل الاقتراب منه ، وكأنه لم يسمعه :

ـ ولكن يا للأسف .

هتف الدُب فى انفعال :

ـ ولكننى أثق بك بالفعل .

توقَّف الذئب ، وتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى لهجة ، أودعها أقصى ما أمكن من حزن وأسى وتأثُّر :

ـ حقًا .

انتفض جسد الدُب ، وهو يهتف مخلصًا :

ـ أقسم لك أننى أثق بك ثقة عمياء .

أدرك الذئب أنه قد ربح الجولة ، فابتسم فى أعماقه ظافرًا ، وإن حافظ على هدوء وصرامة ملامحه الخارجية ، وهو يقول :

ـ اثبت .

هتف الدُب :

ـ كيف ؟!

مال الذئب نحوه ، وثبَّت عينيه على عينى الدُب مباشرة ، وهو يقول ، فى لهجة شديدة العمق :

ـ بأن تنفذ ما طلبته منك منذ لحظات .

واكتسب صوته صرامة آمرة قاسية ، وهو يضيف :

ـ فورًا .

اعتدل الدُب بحركة شبه عسكرية ، وهو يهتف فى حماس :

ـ فورًا أيها الذئب .. فورًا .

قالها ، واندفع يغادر المكان ، وقد بدأ الظلام ينتشر حوله ، فى حين ظل الذئب جامدًا فى مكانه ، حتى اطمئن إلى أن كل شىء على ما يرام ، قبل أن يلتفت إلى خريطة المقاومة ، المعلَّقة على الجدار ، وهو يغمغم :

ـ أعتقد أن الوقت قد حان ؛ لإجراء بعض التغييرات القيادية الأساسية .

قالها ، والتقط قلمًا أحمر اللون ، صنع به دائرة كاملة ، حول أحد الأسماء على الخريطة ..

اسم الدُب ..

* * *

ارتباك شديد ساد صفوف رجال الأمن ، مع انقطاع الاتصالات ، وتوقُّف كل الأجهزة الإلكترونية دفعة واحدة ..

ودون أى مقدمات ..

كانت أوامرهم واضحة صريحة ، بالقضاء على أولئك المخادعين ، الذين انتحلوا هيئة (نور) وفريقه ، كما أخبرهم قائدهم ..

ولكن حتى هذا يحتاج إلى الأجهزة ..

يحتاج إلى رؤية من يطاردون ، وتحديد موقعهم ..

ولسبب ما ، لم يعد هذا متاحًا ..

فجـأة ..

وبينما يسود ذلك الارتباك الشـديد بين الصفوف ، التقى كل من (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) فى المكان المتفق عليه ، وفقًـا لخطة (نور) ، وهتف الأوّل بالأخيرة فى انبهار :

ـ كيف فَعَلْتِهَا ؟!

أجابته (نشوى) لاهثة ، من فرط الانفعال :

ـ لا يمكنك أن تتصوَّر مقدار ما يمكنك أن تفعله ، برقمى الصفر والواحد ، فى عالم الكمبيوتر(*) .

هتفت بها (سلوى) ، وثلاثتهم يتحركون نحو نقطة اللقاء الثانية :

ـ حقًّا كيف فَعَلْتِهَا ؟!.. علومهم هنا تبدو كالمعجزة بالنسبة لنا .

أجابتها (نشوى) فى حماس :

(*) تتكوّن لغة الكمبيوتر الأساسية من رقمى الواحد والصفر ، فى تتابع خـاص ، يصنع كل البرمجيات ، مهما اختلفت قوتها وأهميتها .

ـ الذكـاء الاصطناعى تطوَّر بشدة فى هذا الزمن ، ولكنه ، ومهمـا تطوَّر ، سيظل مجرَّد ذكـاء آلـة .. لا يمكنهـا التعلُّم من التجربـة والخطأ ، وتطوير نفسها فى كل مرة ، ولكنها ستظل أبدًا محرومـة من تلك اللمحة ، التى خلقها الله سبحانه وتعالى فى كل كائناته .

التقطت أنفاسها لحظة ، ثم أضافت فى حزم :

ـ المشـاعر .

سألها (رمزى) ، وهما يتجاوزان ممرًّا فرعيًّا :

ـ وبِمَ أفادكِ هذا ؟!

حاولت أن تبتسم ، على الرغم من تعبها وانفعالها ، وهى تجيب :

ـ طرحت عليه لغزًا لولبيًّا .

انعقد حاجباه ، وهو يتساءل فى توتر :

ـ لغز ماذا ؟!

أجابته (سلوى) قائلة :

ـ اللغز اللولبى هو أحد تلك الألغاز ، التى لا يمكنك التوصُّل إلى حـل منطقى لها أبدًا ؛ لأنه أيًّا كانت النتيجة ، ستضعك فى دائـرة ، تعيدك إلى البداية .. وهكذا .

فَغَرَ فاه ، على نحو جعل (نشوى) تقول لاهثة :

ـ أخبرته أنه هناك رجل صدر ضده حكم بالإعدام ، وطلب منه الحاكم أن يختار بين وسيلتى إعدام ، وفقًا لمصداقيته ، فلو أنه صادق ، سيتم إعدامه شنقًا ، ولو أنه كاذب ، فسيتم إعدامه بالرصاص ، فأخبره الرجل أنه سيعدم رميًا بالرصاص ، فكيف ينبغى أن يتم إعدامه ؟!

توقَّف (رمزى) دفعة واحدة ، من فرط انبهاره ، وبدا لاهثًا أكثر منهما معًا ، وهو يقول :

ـ رباه !.. لو أعدموه رميًا بالرصاص بالفعل ، فسيعنى هذا أنه صادق ، ولكن كونه صادقًا يحتم إعدامه شنقًا ، وفى هذه الحالة يكون كاذبًا ، وينبغى إعدامه رميًا بالرصاص .

أشارت (نشوى) بسبَّابتها ، قائلة :

ـ بالضبط .. وهذا يعيدنا إلى البداية .. وهكذا .

توقَّف مبهورًا تمامًا ، قبل أن يهتف :

ـ أهذا ما أوقف نظام الكمبيوتر كله ؟!

هزَّت (نشوى) كتفها ، قائلة :

ـ لابد أن يجد حلاً ، فهذه مهمته الرئيسية ، وعندما تعذَّر عليه تنفيذها ، راح يجند المزيد من برامجه لإيجاد الحل ، برنامجًا

تلو الآخر ، مما اضطره لإيقاف كل البرامج الأخرى ، وتجنيد ذاكرته كلها لحل اللغز .

صمت (رمزى) لحظات ، قبل أن يهتف بكل حماس وانبهار الدنيا :

ـ رباه !!.. كنت أعلم أننى متزوِّج من عبقرية ، ولكننى لم أتصوَّرها أبدًا بهذا المقدار .

قالت (سلوى) ، وهى تدفعها أمامهما فى توتر :

ـ تصوَّر ما يحلو لك ، ولكن ليس الآن ، لابد أن نتحرك بأقصى سرعة ، حتى لا نتجاوز توقيت الخطة .

اندفعت معها (نشوى) ، واستعادت لهاثها ، هى تهتف :

ـ خاصة أن ذكاءه الاصطناعى سيدفع ذلك الكمبيوتر فى النهاية إلى إدراك استحالة الحل ، وسيعود لحظتها للعمل بكل قوته .

تساءلت (سلوى) فى توتر :

ـ ولكن ماذا عن (نور) و(أكرم) .. هل ...

انقطعت جملتها بشهقة مباغتة ، فى نفس اللحظة التى اتسعت فيها عينا (نشوى) عن آخرهما ، وهتف (رمزى) :

ـ يا إلهى !

فعند نهاية الممر ، برز ثلاثة من رجال الأمن الأشداء ، فى قمة انفعالهم وتوترهم ، وهم يصوبون أسلحتهم الارتجاجية ، فى توتر وتحفز شديدين نحو ثلاثتهم ، وأحدهم يهتف :

ـ عثرنا عليهم .

برز رابع من خلفهم يحمل رتبة أعلى ، وهو يقول فى صرامة :

ـ وماذا تنتظرون ؟!

وانطلقت الموجات الترددية تصيب الأجساد ..

وبمنتهى العنف ..

* * *

لوهلة ، بدا كأن ذلك الأتون الرهيب سيشتعل فجأة ..

وأن الممر سيتحوّل إلى جحيم ..

جحيم حقيقى ..

ولكن المدهش أنه وعلى الرغم من هذا لم يتوقّف (أكرم) عن العدو عبر الممر ..

لم يتوقف لحظة واحدة ..

كان يسعى لإنقاذ (مشيرة) ، بأى ثمن ..

حتى لو كان هذا الثمن هو حياته ..

حياته مقابل حياتها ..

إنه يقبل بهذه الصفقة ..

المهم أن تحيا هى ..

وتنجو ..

وتخرج من محبسها ..

فمنذ أن ربط حياته بحياتها ، وعقد قلبه بقلبها ، وهو خاضع لتلك الصفقة :

أن يحبها ويرعاها ويحميها ..

بحبه ..

وكيانه ..

وعمره ..

وحياته كلها ..

وبكل قوته ، والجدران تزداد تألُّقًا أكثر وأكثر ، هتف :

- (مشيرة) .. أنا قادم إليك .

بلغ صوته مسامعها ، فارتجف عقلها ، وقلبها ، وكيانها كله ..

وبكل قوتها وحبها ، هتفت :

ـ لا .. لا يا (أكرم) .. لا تجازف .

ولكن الجدران كانت من حوله تتألّق ..

وتتألّق ..

وتتأجّج ..

وتدريجيًا ، راح الوهج يلفح جسده ، والحرارة مـن حولـه ترتفع وتشتد ، و ...

« إلى أين ؟!.. »

ارتفع الصوت الصارم القاسى من خلفه ، فتوقّف بحركة مباغتة ، كاد توازنه معها يختل ، والتفت فى حدة إلى حيث يقف القائد الأعلى عند مدخل الممر ، وهو يعقد كفيه أمام صدره ، ويكمل فى صرامة قاسية غاضبة :

ـ هل تصوّرت أنه من الممكن أن تحصل على مكافأة خيانة ؟!

تعقد حاجبا (أكرم) فى صرامة ، وضمّ قبضته ، وهو يلوّح بها ، قائلاً :

ـ سأستعيد زوجتى ، حتى لو اضطررت لهـدم هذا الكيان كلـه على رءوسكم .

تقدّم القائد الأعلى نحوه ، وهو يقول فى غضب شرس :

ـ لو انهدم هذا الكيان ، فسينهدم على رأسك أنت وليس علـى رءوسنا نحن .

لاحظ (أكرم) أنه مع تقدّم القائد الأعلى ، عادت الجدران تخبو فـى بطء ، فتراجع فـى خطوات بطيئـة ، متجهًا بظهره نحـو مقـر (مشيرة) ، فى حين واصل القائد الأعلى تقدُّمه نحوه ، مواصلاً :

ـ كانت لديك وسيلة بسيطة لاستعادة زوجتك ، والفوز بكل شىء .

قال (أكرم) فى عصبية ، وهو يتراجع أكثر وأكثر :

ـ بأن أخون رفاقى .. أليس كذلك ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ بأن تخلص لوطنك .

مال (أكرم) برأسه إلى الأمام ، وهو يتراجع خطوة أخرى ، قائلاً :

ـ لوطنى أم لكم ؟!

هتف القائد الأعلى فى غضب :

ـ نحن وطنك .

لوّح (أكرم) بسبّابته فى وجهه ، هاتفًا :

ـ أنتم هنـا .

واكتسى صوته بصرامة شديدة ، وهو يكمل ، مخفضًا سبَّابته :

ـ أم هناك .. خلف الأسوار .

صمت القائد الأعلى تمامًا ، وتوقَّف فى مكانه ، على بعد خمسة أمتار من (أكرم) ، وأطلّت من عينيه نظرة شديدة القساوة ، وهو يقول :

ـ إذن فقد عبرت بعقلك خلف الأسوار .

قال (أكرم) متحديًا :

ـ وسنعبرها جميعًا بأجسادنا ، على الرغم من كـل وسائلكم .. رفاقى ، وأنا .. و(مشيرة) أيضًا .

حمل صوت القائد الأعلى صرامة غاضبة وحشية ، وهو يقول :

ـ تريد زوجتك ؟ ها هى ذى .

مع آخر كلماته ، انفتح باب مقر (مشيرة) فجأة ، وبدت خلفه هذه الأخيرة ذاهلة ، وهى تهتف فى ارتياح :

ـ (أكرم) ..

وبكل حبه ولهفته ، التفت إليها (أكرم) ، وفتح ذراعيه هاتفًا :

ـ حبيبتى .

اندفعت بكل حبها وخوفها ولهفتها ، وألقت نفسها بين ذراعَىْ زوجها ، الذى ضمها إليه فى حنان جارف ، هاتفًا :

ـ أخيرًا .

سمع من خلفه مباشرة صوت القائد الأعلى ، يقول :

ـ ليس بعد .

استدار فى سرعة ، وتراجع بحركة حادة مع (مشيرة) ، عندما وجد القائد الأعلى على بعد خطوة واحدة منه ، يكمل فى صرامة :

ـ مازلتما وسط أتون اللهب .

مع نهاية العبارة ، أغلق باب مقر (مشيرة) خلفهما فى عنف ، انتفض له جسد هذه الأخيرة ، فتعلَّقت بزوجها فى رعب ، فى حين قال هو متحديًا ، وهو ينظر إلى عينَىِ القائد الأعلى مباشرة :

ـ وأنت معنا .

قال القائد الأعلى فى سخرية :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

انقض عليه (أكرم) ، هاتفًا :

ـ بل أثق به .

كان يحيط جسد القائد الأعلى بذراعيه ، عندما فوجئ بذلك الجسد يتلاشى بغتة ..

وفى جزء من الثانية ، ظهر مرة أخرى فى موضعه الأوَّل ، على بعد خمسة أمتار كاملة ..

وشهقت (مشيرة) مندهشة ومذعورة ، فى حين غمغم (أكـرم) ، فى توتر شديد :

ـ ولكن كيف ؟!

أجابه القائد الأعلى ، فى شماتة وحشية :

ـ خدعـة هولوجرامية بسيطة يا هذا .. ربما لم تكن أبدًا بهـذا الإتقان فى عصرك ، ولكن تأثيرها ما زال قويًا كما ترى .

غمغم (أكرم) :

ـ ولكن الصوت .. لقد ...

قاطعه فى صرامة :

ـ كل شىء يتطوّر أيها الهمجى ، خلال ثلاثة عقود من الزمان .

قال (أكرم) فى مقت :

ـ لم أحب التقنية المتطوّرة أبدًا .

رفع القائد الأعلى يده ، وهو يقول فى قسوة مخيفة :

ـ ولن تجد الوقت لتحبها .

مع قوله عادت تلك الجدران تتألّق بذلك الوهج الرهيب ..

وهـج النيران ..

وبينمـا تلاشت صـورة القـائد الأعلـى الهولوجرامية ، راحـت حرارة الممر ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

ثم انبعثت النيران فجأة من جدرانه ..

وأطل الموت برأسه ساخرًا ..

من قلب الجحيم ..

* * *

« ماذا يحدث هنا بالضبط ؟! »

ألقى (محمود) السؤال فى عصبية شديدة ، وهو يتلفّت حوله فى حدة ، فقال الدكتور (راشد) ، وهو يبذل قصارى جهده ؛ للسيطرة على أعصابه الثائرة :

ـ إنها حالة طوارئ .. ربما اشتعل حريق أو ...

قاطعه (محمود) فى حدة :

ـ هـراء .

التفت إليه الدكتور (راشد) فى دهشة متوترة ، فتابع فى غضب :

ـ إننى أعرف جيدًا كيف تعمل هذه الأجهزة ، وكيف يبدأ تشـغيل أجهزة الإطفاء الرقمية ، فور التقاطها أدنى انبعاث حرارى متموّج .

ازدرد الدكتور (راشد) لعابه فى صعوبة ، وتمتم :

ـ الأمور تغيَّرت كثيرًا فى هذا العصر .

قال (محمود) بنفس الحدة :

ـ إلى الأفضل أم إلى الأسوأ ؟!

صمت الدكتور (راشد) لحظات ، ثم قال فى عصبية :

ـ إلى ما يختلف .

تطلَّع إلى (محمود) لحظات فى توتر ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ إجاباتك غامضة .

هزَّ الدكتور (راشد) رأسه فى أسى ، قائلاً :

ـ لست أملك سواها .

أمسكه (محمود) من كتفيه ، وجذبه إليه فى حركة قوية آلمته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لماذا أنا هنا بالضبط ؟!

اتسعت عينا الدكتور (راشد) ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى !.. إنك تتعامل كما لو كنت ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، فهزه (محمود) فى قوة ، قائلاً فى صرامة أشد :

ـ كما لو كنت ماذا ؟!

كانت ارتجاجة الرجل عنيفة ، حتى إنه هتف فى ذعر :

ـ رباه !.. إنك تقتلنى .

تفجَّرت العبارة كالقنبلة فى رأس (محمود) ..

لقد امتزجت بما انتبه إلىَّ ، فى هذه اللحظة فحسب ..

إنه بالفعل يرج الرجل بقوة هائلة ..

قوة تفوق كل ما يذكره عن قدراته الفعلية ..

لقد كان دومًا أحد أضعف أفراد الفريق ، وأكثرهم نحولاً وضآلة ..

بل كان أضعفهم على الإطلاق ..

ولكنه الآن يشعر بقوة هائلة ، تسرى فى كيانه كله ..

قوة لا تعيها ذاكرته أبدًا ..

قوة جعلته يلفت الدكتور (راشد) ، ويحدِّق فيه لحظات فى دهشة ، قبل أن يلتفت إلى آلة معدنية ، ملقاة فوق مكتب قريب ، ثم يلتقطها فى حذر ، جعل الدكتور (راشد) يتراجع فى ذعر ، هاتفًا :

ـ ماذا ستفعل بالله عليك ؟! ماذا ستفعل ؟!

تطلع إليه (محمود) فى حيرة شديدة ، ثم أمسك طرفى الآلة المعدنية ، وهو يتمتم فى توتر :

ـ أختبر الأمر .

وفى قوة ، أمال طرفى الآلة المعدنية القوية ..

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ..

فعلى الرغم من قوة الآلة وصلابتها ، انثنت بين يديه فى سهولة ، ودون أن يشعر ببذل الكثير من الجهد ..

الدكتور (راشد) أيضًا حدّق فيما حدث فى ذهول ، وهو يردّد :

ـ يا إلهى !.. مستحيل !..

رفع (محمود) عينيه إليه فى ذعر ، وألقت الآلة المعدنية ، فسقطت لترتطم بالأرض فى دوى مسموع ، اختلط بصوته ، وهو يقول :

ـ كما لو كنت ماذا يا رجل ؟!.. ماذا أصابنى ؟!.. من أنا بالضبط ؟!

فوجئ الاثنان بصوت (نور) ، يقول فى حزم :

ـ أنت (محمود) .. صديقى وعضو فريقى .. ألا تذكر هذا ؟!

التفت الدكتور (راشد) إلى (نور) فى ذعر ، فى حين قال (محمود) ، فى لهفة امتزجت بذعره وحيرته :

ـ (نور) ؟!

هتف الدكتور (راشد) ، وهو يحاول منع (نور) من التقدُّم :

ـ لا .. ليس من المفترض أن تأتى إلى هنا .. الأوامر حاسمة فى هذا الشأن .

أمسك (محمود) كتف الدكتور (راشد) ، ودفعه جانبًا ، وهو يقول فى حدة :

ـ ابتعد .

طار جسد الرجل ، الذى انتزعته الجذبة من مكانه ، وارتطم بعدد من أجهزة المعمل ، وسقط معها أرضًا فى عنف ، فى حين اندفع (محمود) نحو (نور) ، هاتفًا فى مزيج من الفرحة والارتباك :

ـ أين نحن يا (نور) ؟!.. وماذا أصابنى ؟!

انفرجت شفتا (نور) ؛ ليقول شيئًا ما ، ولكن صوت الرائد (هيثم) سبقه ، وهو يقول من خلفه فى صرامة قاسية :

ـ بل قل ماذا سيصيبكما ؟!

رفع (محمود) عينيه إليه فى سرعة ، والتفت إليه (نور) ، و ...

وأطلق (هيثم) سلاحه الترذُدى ، فانطلقت موجاته نحوهما .. مباشرة .

* * *

3 ـ الصـغيران ..

على الرغم من انتسابهما إلى (نور) ، بدا (محمود) و(طـارق) الصغيران فى حالة من التوتر ، لا تتناسب مع منصـب الزعامـة ، الذى وضعهما فيـه الذئب ، وهمـا يجلسـان إلى هـذا الأخير ، فـى مقر الزعامة ، وهو يقول :

ـ ما أخبرتكمـا به يعنى واحدًا مـن أمرين ، إما أن يكون ذلـك الاضطراب فى القلعة بسبب القائد (نـور) وفريقـه ، وإمـا أنـه لا شـأن لهما به ، وفى الحالتين ، ينبغى أن نتحرك سريعًا ، ونضرب ضربتنا .

تبادل الصغيران نظرة متوترة ، قبل أن يقول (محمود) الصغير فى حذر شديد :

ـ أى ضربة ؟!

مال الذئب نحوهما ، وهو يجيب ، وعيناه تتألقان على نحو عجيب :

ـ الضربة التى ننتظرها منذ زمن بعيد .. مهاجمة مركز القيادة .

انعقد حاجبا (محمود) الصغير فى شدة ، فى حين تراجع (طارق) الصغير كالمصعوق ، هاتفًا فى ذعر واستنكار :

ـ ولكن هذا مستحيل !

زمجر الدُّب من خلفهما ، وهو يقول :

ـ لا يوجد مستحيل .. هكذا يقول الذئب .

استدار إليه (محمود) الصغير ، قائلاً فى صرامة :

ـ بل هكذا قال (نابليون بونابرت)(*) .

انعقد حاجبا الدُّب ، وهو يقول فى عصبية :

ـ مـن ؟!

قال الذئب فى صرامة :

ـ لسنا هنا لمناقشة التاريخ .

عاد إليه (محمود) الصغير ببصره ، وهو يقول بنفس الصرامة :

ـ ولا لإفساده .

رمقه الذئب بنظرة طويلة ، لم ترق أبدًا لـ (طارق) الصغير ، الـذى لا يشـعر بالارتيـاح منـذ البدايـة ، لوقـوف الـدُّب خلفهمـا ، بجسده الضخم المخيف ، دون أن يدريا ما يفعله ..

(*) نابليـون بونـابرت : (15 أغسطس 1769م ـ 5 مايو 1821م) : قائد عسكرى وإمبراطور فرنسى ، وُلِدَ فى جزيرة (كورسيكا) ، التى كانت (فرنسا) قد استولت عليها قبل مولده بخمسة عشر شهرًا ، قاد الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م ، ومات منفيًا فى جزيرة (سانت هيلانة) ..

ثم إنه ، ومنذ البداية ، لم يثق بالذئب أبدًا ..

شيء ما فى أعماقه ، جعله لا يثق به ، ولا يطمئن إليه ..

شيء حتى هو لم يفهمه ..

شيء جعله يقول فى عصبية شديدة :

ـ لا تدخلونا فى أمور جانبية .

انعقد حاجبا (محمود) الصغير ، وزمجر الدُب فى غضب ، فى حين صمت الذئب لحظة ، قبل أن يقول :

ـ صدقت .

ثم نهض من مقعده ، وقال متابعًا فى حزم :

ـ ما لم أخبركما به من قبل ، هو أن لدينا عينًا داخل مقر قيادة تلك المخابرات التكنورقمية .

غمغم (محمود) الصغير :

ـ لم تكن بحاجة لإخبارنا .. هذا يبدو واضحًا .

صمت الذئب لحظة ، وكأنما لم يرق له هذا ، ثم تابع فى حزم ، متجاوزًا هذا التعليق :

ـ وبوسيلة سرية ، أخبرنى عيننا أن والدتك يا (محمود) قد أوقفت عمل كافة الأجهزة التكنولوجية هناك .

تمتم (محمود) مبهورًا :

ـ أمى ؟!

وقال (طارق) فى لهفة :

ـ شقيقتى (نشوى) .

لم يبال الذئب بانفعالهما ، وهو يلتفت إليهما ، قائلاً :

ـ هـذا يعنى أنها فرصة ذهبية ، قد لا يمكننا الحصول على مثلها أبدًا .

ومال نحوهما ، مضيفًا ، بعينين التمعتا كمصباحين صغيرين :

ـ فالمقر بلا حماية أمنية إلكترونية .

وتفرَّس ملامحهما معًا ، قبل أن يضيف :

ـ على الإطلاق .

صمت الصغيران لحظات مبهورين ، قبل أن يغمغم (محمود) فى توتر :

ـ وماذا تريد منا بالضبط ؟!

اعتدل الذئب فى حركة حادة ، وقال بلهجة آمرة :

ـ أن تأمرا رجالكما بالهجوم ، أو ...

صمت دفعة واحدة ، فسأله (طارق) الصغير فى حذر :

ـ أو ؟!

التمعت عينا الذئب أكثر ، وهو يقول :

ـ أو تفوّضانى فى قيادة جميع الفرق .

واستدرك فى سرعة :

ـ مؤقتًا .

نقل الدُّب بصره بينهما من الخلف ، وهو يزمجر زمجرة تثير التوتر ، فى حين غمغم (محمود) ، فى شىء من العصبية :

ـ هذا يحتاج إلى ...

قاطعه الذئب بمنتهى الشراسة :

ـ إلى لا شىء .. من المؤكد أن هذه الفرصة لن تتكرَّر ، ولن تظل متاحة طويلاً ... إما الآن أو أبدًا .. ما قولكما ؟

تبادل الصغيران نظرة صامتة ، ثم غمغم (طارق) :

ـ فى هذه الحالة ..

لم ينتظره الذئب ليكمل عبارته ، وإنما قال للدُّب فى حزم آمر :

ـ ابدأ الهجوم ..

ولم يعترض أىٌّ منهما بحرف واحد ..

ومن الواضح أنه لم يكن باستطاعتهما هذا ..

* * *

أغمضت (نشوى) عينيها فى قوة ، عندما تلقَّى رجال الأمن الثلاثة الأمر بقتل ثلاثتهم ..

هى ، وزوجها (رمزى) ، وأمها (سلوى) ..

وعندما انطلقت تلك الموجات الترددية القاتلة ، شعرت بجسدها كله ينتفض فى عنف ..

وبالأرض تهتز تحت قدميها ..

ولكنَّ شيئًا آخر لم يحدث ..

فقط شعرت بالارتجاجات فى مكان ما حولها ، ثم سمعت صوت قتال عنيف ، وسمعت أمها تهتف :

ـ (طارق) .

فتحت (نشوى) عينيها عن اتساعهما ، وحدَّقت ذاهلة مبهورة ، فيما يحدث أمامها ..

كان اثنان من رجال الأمن ملقيين أرضًا ، والآخران يشتبكان فى قتال عنيف مع (طارق) ، الذى بدا كالأسد الكاسر ، وهو يلكم

أحدهما لكمة كالقنبلة أطاحت به ثلاثة أمتار كاملة إلى الخلف ، ثم يستدير إلى قائد المجموعة ، الذى هتف به وهو يصوّب إليه مسدسه الارتدادى القاتل :

ـ (طارق) .. هذه خيانة .

تفادى (طارق) الموجة الترددية القاتلة ، وهو ينقض عليه فى قوة ، هاتفًا بكل صرامته وغضبه :

ـ وهؤلاء أهلى .

حاول قائد المجموعة أن يلكمه ، ولكن (طارق) وثب متجاوزًا اللكمة ، ودار حول نفسه دورة مدهشة ، قبل أن يركل الرجل فى فكه ، ثم يكمل دورته ، ليلكمه فى معدته ، هاتفًا :

ـ وفى سبيلهم .

انطلقت قبضته الثانية تحسم القتال بلكمة ساحقة ، وهو يضيف فى حزم :

ـ أدفع حياتى نفسها .

خفق قلب (نشوى) فى قوة ، خاصة عندما وثب (طارق) ، متجاوزًا قائده ، قبل حتى أن يسقط هذا الأخير ، واندفع نحوها ، يهتف بكل اللهفة والجزع :

ـ أمى .. أأنت بخير ؟

ارتجفت شفتا (نشوى) ، وسرت الارتجافة فى جسدها كله ، وملأت صوتها ، وهى تحدّق فيه ، قائلة بصوت متهدّج للغاية :

ـ أمك ؟!

انحنى على كفيها يقبلهما فى لهفة ، وهو يهتف :

حمدًا لله .. حمدًا للّه .

لم تتمالك (نشوى) نفسها ، فاحتوته بين ذراعيها فى حنان جارف ، على الرغم من أنه يبدو فى مثل عمرها ، وتفجّرت عيناها بدموع غزيرة ، فى حين وضع (رمزى) يده على كتف (طارق) ، وترك دموعه هو الآخر تنساب على وجنتيه ، وهو يقول :

ـ أى أب ليفخر بإنجابه ابنًا مثلك .

ارتمى (طارق) بين ذراعى والده ، و(سلوى) تقول وسط دموعها الغزيرة :

ـ يا لك من حفيد !

كان الموقف بالغ التأثير ، و(سلوى) تضمه إليها أيضًا ، ولكنّ (طارقًا) اعتدل ، قائلاً فى حزم ، جعله أشبه كثيرًا بجدّى :

ـ سنتبادل عواطفنا فيما بعد .. أما الآن ، فأسرعوا .

هتفت (سلوى) :

ـ وماذا عن جدّك و(أكرم) ؟!

توقف (طارق) يسألها فى قلق :

ـ وأين ذهبا ؟!

أجابته (نشوى) :

ـ أبى ذهب لتخليص (محمود) ، أما (أكرم) ، فيسعى لإنقاذ زوجته ، من ذلك السجن أسفل المبنى .

اتسعت عينا (طارق) ، وهو يهتف :

ـ هل ذهب إلى ممر الموت ؟!

قال (رمزى) فى توتر شديد :

ـ أهكذا يطلقون عليه ؟!

سحب (طارق) مسدسه الترددى ، وهو يهتف فى جزع شديد :

ـ يا إلهى !.. يا إلهى !

قالها ؛ لأنه يدرك جيدًا لماذا أطلقوا على ذلك المكان الرهيب اسم ممر الموت ..

لقد أطلقوا عليه هذا الاسم ؛ لأنه لا أحد يمكن أن يذهب إليه ، دون تصريح رسمى ، ويعود منه حيًا ..

لا أحد ..

أبدًا ..

* * *

عندما صوَّب الرائد (هيثم) مسدسه الترددى نحو (نور) ، كان الغضب والمقت يملآن نفسه ، ويدفعانه إلى القتل فورًا ..

ودون ذرة واحدة من التردُّد ..

إنه حتى لم يبال بوجود (محمود) ، ولا بتلك الأوامر ، التى تحتم الحفاظ عليه ، حتى يفصح عن كل ما لديه عن نهر الزمن ..

وعندما ضغط زناد مسدسه ، كانت فوهته مصوَّبة نحو (نور) تمامًا ، فى حين صرخ الدكتور (راشد) :

ـ لا ..

ولكن الموجة الترددية القاتلة انطلقت ..

نحو الهدف مباشرة ..

ووفقًا لكل قواعد الدنيا ، ولسرعة تلك الموجات الرهيبة ، كان من المستحيل أن ينجو (نور) من تلك الطلقة ..

من المستحيل تمامًا !!..

ولكن (محمود) تحرَّك فجأة ، على نحو عجيب ..

وبسرعة خرافية ..

سرعة غير آدمية .

على الإطلاق ..

وبتلك السرعة الرهيبة ، دفع (نور) جانبًا ، واستقبل الموجة القاتلة فى صدره ، وهو يهتف :

ـ لا .. ليس (نور) .

ارتطمت الموجة الترددية بصدره فى عنف ، واقتلعته من مكانـه تمامًا ، ودفعته أمامها فى قوة ، حتى ارتطم بالجدار ..

واتسعت عينا الدكتور (راشـد) عن آخرهما ، عندما شاهد تلـك الفجوة ، التى صنعتها الموجة الترددية ، فى صدر (محمود) ..

أما (نـور) ، فقد هتف :

ـ رباه !.. لا ..

واستدار (هيثم) ؛ ليطلق موجة أخرى نحو (نور) ، و ...

وفجأة ، اتسعت عيناه عن آخرهما ، فى ذهول مذعورًا ..

الواقع أن عيونهم جميعًا قد اتسعت ، بانفعالات مختلفة ..

ففى حزم وعلى الرغم من تلك الفجوة فـى صدره ، والتـى لـم تنزف منها قطرة دم واحدة ، اعتدل (محمود) ..

اعتدل وانعقد حاجباه فى غضب شديد ، وهو يتطلّع إلـى (هيثم) ، الذى خفض فوهة مسدسه ، وهو يهتف فى صوت مختنق :

ـ مستحيل !

ففى سرعة مدهشـة ، راحت تلـك الفجوة فى صدر (محمود) تمتلئ ، بذلك (الزوريوم) الحيوى اللامع ، الشبيه بالزئبق ، ثم لم تلبث أن اكتست بلون بشرته ، وكأنه لم يكن بها خدش واحد ..

وفى ذهول ، غمغم الدكتور (راشد) :

ـ رباه !.. إنه .. إنه ...

لم يقل أبدًا ما الذى كـان يعنيـه ، ولـم ينبس (نـور) ببنت شفة ، وهو يحدّق فيما حدث أمام عينيه ، فى حين تراجع (هيثم) خطوتين إلى الخلف ، ثم لم يلبث أن أطلق لساقيه العنـان ، وراح يعدو مبتعدًا عبر الممر ، وكأنما يطارده ألف شيطان وشيطان ..

ولثوان قليلة ، ساد صمت رهيب ، داخل تلك الحجرة ..

صمت حمل كل الذهول ..

والارتباك ..

والخوف ..

صمت قطعه (محمود) ، وهو يسأل فى ذعر شديد :

ـ ماذا أصابنى يا (نور) ؟!.. ما الذى أصبحت عليه ؟!

ودون أن ينتظر جواب (نور) ، التفت إلى الدكتور (راشد) ، وقال فى شبه انهيار :

ـ قلت : إننى كنت أتصرَّف وكأننى شىء لم تُحدَّد ماهيتـه !!.. كنت أتصرَّف وكأننى ماذا يا رجل ؟!

ثم صرخ فى عصبية مضيفًا .

ـ مـاذا ؟!

أجابه الدكتور (راشد) فى سرعة :

ـ بشرى .. تتصرف وكأنك بشرى .

عضَّ (نور) شـفته السفلى فى توتر شديد ، فى حين ردَّد (محمود) ، فى ذهول وارتياع :

ـ هل .. هل تعنى أننى ...

لم يكمل سؤاله ، فقد قاطعه الدكتور (راشد) ، قائلاً فى توتـر بلغ ذروته :

ـ نعم ، يا ولدى للأسف .. لست بشريًا .

واتسعت عينا (محمود) عن آخرهما ..

فقد كانت الصدمة عنيفة ..

وربما أكثر مما ينبغى ..

أكثر بكثير ..

* * *

إنـها النهاية لا ريب ..

الممر الرهيب يشتعل بنيران مستعرة ، وحرارة تتزايد فى سرعة ، حتى تبلغ خمسـة آلاف درجة مئوية ، إنـها كافية ، ليس فقط لقتـل (أكرم) و(مشيرة) ، بل لإذابة الممر نفسه ، وتحويلـه إلـى كتلـة هائلة من اللهب ..

أو من الجحيم ..

وبكل رعب الدنيا ، تعلَّقت (مشيرة) بزوجها ، هاتفة :

ـ يا إلهى !.. (أكرم) .

لم يدر (أكرم) ماذا يفعل ، فى مثل هذه الظروف ؟!

لم يدر كيف يمكن أن يقاوم ميتة بشعة كهذه !!

وكيف يمكن أن ينقذ (مشيرة) ؟!

كيف ؟!..

لقد وعدها ، يوم وضع دبلته فى وسطاها ، أنه سيحميها ويذود عنها بحياته ، لو استلزم الأمر ..

وهو لم يحنث بوعد فى حياته أبدًا ..

أبـدًا ..

وعلى الرغم من ثقته بعدم جدوى هذا ، هتف بها (أكرم) ، بمنتهى الحزم :

ـ لابد أن يظفر بى الموت أولاً ، قبل أن يمس شعرة واحدة منكِ .

وفى حركة سريعة ، حملها بين ذراعيه ..

ثم انطلق يعدو عبر الممر ..

وبكل قوته ..

ومن فرط المفاجأة ، شهقت (مشيرة) ، وتعلّقت بعنقه بكل قوتها ، ثم أخفت وجهها فى صدره ، وهى تلهث فى شدة ، كما لو أنها هى التى تعدو ، وليس هو ..

ومن حولهما ، راحت الحرارة ترتفع فى سرعة مخيفة ، وشعر (أكرم) كأن جسده يشتعل ..

أو أنه كان يشتعل بالفعل ..

وهذا يعنى أن الأمتار القليلة ، التى تفصلهما عن مخرج الممر ، ستكون أشبه بآلاف الكيلومترات ..

وأنهما لن ينجحا فى عبورها أبدًا ..

على قيد الحياة ..

وعندما راوده هذا الشعور ، ضمّ (مشيرة) إليه أكثر ، وحاول أن يضاعف من سرعة عدوه ، ولكن هذا لم يكن ممكنًا أبدًا ..

لقد كان يعدو بأقصى سرعته بالفعل ..

ولكن النيران كانت تشتعل فى مخرج الممر بالفعل ..

وتسد الطريق إليه تمامًا ..

ولم يعد هناك أمل ..

أى أمل ..

وبكل يأسه ومرارته ولوعته ، همس فى أذن (مشيرة) ، وهو يلهث فى عنف ، من فرط التعب ، والإجهاد ، والتوتر ، والمرارة الشديدة :

ـ آسف .

احتضنته (مشيرة) فى شدة ، وهى تقول باكية :

ـ عزائى أننا سنلقى مصرعنا معًا .

ضمها إليه فى حنان جارف ، واندفع معها نحو حاجز النيران ، الذى يسد مخرج الممر ، وقد أيقن من أنها النهاية ..

نهايتهما معًا ..

بلا أدنى ريب ..

* * *

بإشارة حاسمة من الذئب ، راح رجال المقاومة يتخذون أماكنهم فى خفة وحذر ، حول مقر قيادة المخابرات التكنورقمية ، الذى صار يحتل أكثر من ثلاثة أضعاف مساحة المخابرات العلمية السابقة ، وأكثر من سبعة أضعاف مساحة المخابرات العامة القديمة ..

كانوا أكثر من ألفى رجل ، يخضعون نظريًا لأربع زعامات مختلفة ، ويأتمرون فعليًا فى ذلك الوقت على الأقل بأوامر زعيم واحد ..

الذئب ..

كان (محمود) الصغير يتوق لمعرفة ماذا يحدث هناك بالضبط ، داخل تلك الأسوار العالية ، فى حين كان (طارق) الصغير يشعر بتوتر شديد ، مما يمكن أن يواجههم هناك لو نجحوا فى عبور تلك الأسوار بالفعل ..

أما الدُب ، فقد ذكَّره الموقف كله بتلك الأفلام القديمة ، التى كان يهوى مشاهدتها ، على شاشة الهولوفيزيون الكبير ، عندما كان طفلاً ، وقبل أن تشتعل تلك الحرب ، التى دمَّرت كل شىء ..

كان يذكره بحروب الفرسان ..

فرسان العصور الوسطى ..

تلك الحروب ، التى كان الصراع الرئيسى فيها يدور حول تجاوز الأسوار ..

أسوار عالية ضخمة ، كتلك الأسوار التى يواجهونها الآن ، والتى تحيط بمقر المخابرات التكنورقمية ..

حتى رجال المقاومة ، كانوا يحملون أسلحة بدائية قديمة ، جعلتهم ، فى زيِّهم المتهالك ، أشبه بالفعل بتلك العصور القديمة ..

الفارق الوحيد من وجهة نظر الدُب ، كان فى أن الأسوار القديمة كانت مكوَّنة من أحجار ضخمة ، أما تلك الحديثة ، فهى مصنوعة من لدائن قوية ، مقاومة للنيران والرصاصات ، وحتى القنابل والصواريخ ..

ثم إنها مزوَّدة دومًا بوسائل دفاعية متطوِّرة ، ووسائل رصد شديدة الحداثة ، يمكنها رصد بعوضة ، لو أنها حامت حول الأسوار ، أو حاولت عبورها ..

والأسلحة التى يستخدمونها ؛ للدفاع عن تلك الأسوار ، رهيبة للغاية .. رهيبة وقاتلة ..

بل مدمِّرة ، وساحقة ..

إلى حد مخيف ..

للغاية ..

وكل من حاول مجرَّد الاقتراب من هذه الأسوار ، واجه تلك الأسلحة ..

وانسحق ..

أو احترق ..

أو تلاشى من الوجود تمامًا ..

« أأنت واثق من أنه ما من خطر ؟! »

ألقى سؤاله هامسًا ، فأجابه الذئب ، دون أن يلتفت إليه :

ـ تمام الثقة .

قالها الذئب ، وراقب الأسوار بضع لحظات ، قبل أن ينهض واقفًا ، ويهتف فجأة :

ـ هجـوم .

انقض جسدا (محمود) و(طارق) الصغيرين ، مع تلك الصرخة القوية ، التى انطلقت من حناجر ألفى رجل دفعة واحدة ، مختلطة بدوى الصواريخ القوية ، التى أطلقوها نحو قمة الأسوار ..

وبمنتهى العنف ، دوت الانفجارات ..

دوت معلنة بدء الحرب ..

حرب الغـد ..

* * *

4 ـ الحـرب ..

فجأة ، وبعد أن أطبقت عليهما النيران مـن كل صوب ، وكما يحدث تمامًا فى أفلام السينما وروايات الأساطير ، دوى انفجار ..

انفجار أطاح بجزء من ذلك الجدار المشتعل ، ونسفه نسفًا ..

وعبر الفجوة الناشئة ، وثب (طارق) ..

وثب فى بسالة مدهشة ، داخل ممر الموت ، وهو يهتف :

ـ أسرعا .. من هنـا .

لم يصدّق (أكرم) عينيه ، ولكنه لم يسمح حتى للدهشة بإضاعة لحظة واحدة ، وهو يندفع بحمله نحو الفجوة ، هاتفًا بـ (طارق) :

ـ (طارق) لن يمكنك أن تتصور سعادتى برؤيتك ، فى هذه اللحظة بالذات .

دفعهما (طارق) عبر الفجوة ، وهو يكرّر :

ـ أسرعـا .

هبطا عند الجانب الآخر للجدار ، وهتفت (مشيرة) :

ـ رباه .. أهو ملاكنا الحارس ؟

أجابها (أكرم) ، وهو يضعها أرضًا فى رفق ، ويلتفت لمعاونة (طارق) ، على عبور الفجوة :

ـ إنه ابن (نشوى) .

هتفت مبهورة :

ـ (طارق) ابن (نشوى) ؟!

وثب (طارق) خارج الفجوة بمعاونة (أكرم) ، وهذا الأخير يهتف :

ـ أمور عديدة هنا ، تحتاج إلى شرح مستفيض يا (مشيرة) .

ثم استدار يحملها مرة أخرى ، مردفًا :

ـ وسيكون لدينا الكثير من الوقت ؛ لأرويها لك .

هتف به (طارق) ، وهو يعدو عبر الممر ، الذى قادت إليه الفجوة :

ـ أسرعا .

انطلق (أكرم) يعدو خلفه ، ومن خلفهم دوى صوت أشبه بانفجار مكتوم ، وانبعث من تلك الفجوة لفح عنيف ، كاد يشوى ظهورهم ، فهتفت (مشيرة) :

ـ رباه !

قال (أكرم) ، وهو يواصل عدوه ، لاهثًا فى عنف :

ـ فلنحمد الله سبحانه وتعالى ، على أننا لسنا فى منتصف هذا الجحيم .

غمغم (طارق) فى انفعال ، وهو يعدو إلى جواره ، ويسحب مسدسه التردُّدى :

ـ ربما ينتظرنا ما هو أسوأ .

هتف به (أكرم) :

ـ وماذا يمكن أن يكون أسوأ ؟

توقَّف (طارق) دفعة واحدة ، ورفع مسدسه بحركة غريزية ، وهو يقول فى توتر شديد :

ـ هذا .

شهقت (مشيرة) فى رعب ، وتوقَّف (أكرم) بدوره ، على نحو جعله يكاد يسقط مع (مشيرة) أرضًا ، وحدَّق كلاهما ذاهلاً فى صورة هولوجرامية هائلة ، لوجه القائد الأعلى ، سدَّت أمامهم الممر ، وسمعوا صوته ، يقول فى غضب عارم :

ـ الخيانة فى قانوننا لا تُغتفر أبدًا .

هتف (أكرم) فى عصبية :

ـ الخيانة لمن ؟!

لم يحصل على جواب ، والصورة الهولوجرامية تتلاشى فى سرعة ، وتظهر بدلاً منها شبكة من خيوط الليزر الرفيعة القاتلة ، راحت تندفع نحوهم فى سرعة ، عبر الممر ..

وسقط الثلاثة بين شقى الرحى ..

الأتون المشتعل من خلفهم ..

وشبكة الليزر القاتلة من أمامهم ..

وما من مفر ..

على الإطلاق ..

* * *

« رجال المقاومة بدءوا هجومًا شاملاً .. »

اندفع أحد رجال الأمن داخل الممر الطويل ، الـذى يقـود إلـى مقـر القائد الأعلى ، وهو يهتف بالعبارة ، مع انقطاع وسـائل الاتصـال الإلكترونية والرقمية ، ثم توقَّف حائرًا ، عندما لم يتلق جوابًا لهتافه ..

إنه داخل ممر القائد الأعلى ، ولكن ما من سبيل لبلوغ مكتبه ، فى غياب سكرتيرته الرقمية ، ووسائل التأمين الإلكترونية ..

وهجوم المقاومة قد بدأ بالفعل ..

ولابد من أوامر مباشرة للتصدى إليه ..

أوامر من القيادة ..

الغائبة ..

« رباه !.. ماذا نفعل الآن ؟!.. »

هتف بالعبارة فى جزع شديد ، ولكنها لم تكد تتجاوز شفتيه ، حتى سمع صوت القائد الأعلى ، يقول من خلفه مباشرة :

ـ سنصد الهجوم بالطبع .

انتفض الرجل فى عنف ، واستدار بحركة حادة ، ثم ارتدَّ فى عنف أكبر وأشد ، عندما فوجئ بالقائد الأعلى خلفه مباشرة ، يقول فى صرامة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره :

ـ ماذا أصابك ؟!

امتقع وجه الرجل ، وهو يقول متلعثمًا :

ـ لا .. لا شىء يا سيِّدى .. فقط كنت أتساءل ..

قبل أن يواصل ، أكمل القائد عبارته فى صرامة ، وكأنه قد التقط العبارة عن لسانه :

ـ كيف سنقاوم الهجوم ، دون سيطرة رقمية .. أليس كذلك ؟!

أومأ الرجل برأسه مبهورًا ، وهو يغمغم :

ـ بلى .

تألَّقت عينا القائد الأعلى على نحو عجيب ، وهو يقول :

ـ اطمئن .. لدىَّ خُطَّةٌ .

قالها بثقة ..

كل الثقة ..

والحزم ..

والقسوة ..

بلا حدود ..

* * *

من المؤكَّد أنه ، لو قُدِّر لـ (أكرم) أن يحيا ، حتى يكتب مذكراته ، فسيصف أحداث تلك الساعات الرهيبة بأنها كانت أشبه بفيلم سينمائى ، من أفلام الحركة القديمة ، المليئة بالمصادفات المثيرة ..

فللمرة الثانية ، فى أقل من ربع الساعة ، تدخَّل القدر على نحو مفاجئ ، فى موقف شديد الصعوبة ..

ففى تلك اللحظات ، عندما اندفعت شبكة خيوط الليزر القاتلة نحوهم ، وراحوا يتراجعون فى سرعة ، نحو أتون اللهب ، الذى يلفح أجسادهم بالفعل ، هتف (أكرم) بكل عصبية :

ـ لابد من وجود مخرج ما .

قال (طارق) فى عصبية ، وهو يتراجع معه ، وينقل بصره على نحو متصل ، بين شبكة خيوط الليزر ، وأتون اللهب :

ـ بالتأكيد ، لو أنك تستطيع المرور بين خيوط تلك الشبكة ، قبل أن تمزقك إربًا .

غمغم (أكرم) ، فى عصبية شديدة ، وهو يضم (مشيرة) إليه فى قوة :

ـ لابد أن أتحوَّل إلى بعوضة ، قبل أن أنجح فى هذا .

تطلَّع (طارق) بكل توتره ، إلى المسافات الضيقة ، بين خيوط شبكة الليزر ، وهو يغمغم :

ـ أتظنها تنجح ؟!

لم يجب (أكرم) ، وهو يحدِّق فى الخيوط الشبكية شبه المتلاصقة ، التى تواصل الاندفاع نحوهم ، وضمَّ (مشيرة) إليه أكثر ، وتعلَّقت هى بعنقه ، فى رعب ويأس ، وأغمضت عينيها فى قوة ، ودفنت وجهها فى صدره ، وشبكة خيوط الليزر تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وعندما صارت قيد خطوتين منهم ، همس (أكرم) مكرِّرًا فى مرارة :

ـ معذرة .. لم أستطع الوفاء بوعدى هذه المرة .

غمغمت (مشيرة) ، وهى تدفن وجهها فى صدره أكثر :

ـ أحبك .

اختلج قلبه لسماعها ، وضمها إليه بكل حنان وحب الدنيا ، و ...

وفجأة ، اختفت شبكة الليزر ..

وانفتح الطريق أمامهم تمامًا ..

وفى نهايته ، ظهر (نور) .

و(سلوى) ..

و(نشوى) ..

و(رمزى) ..

وكذلك (محمود) ..

وفى ذهول منبهر ، حدّق (أكرم) فى جمعهم ، فى حين هتف (طارق) :

ـ رباه !.. لقد فعلوها .

هتف (نور) فى هذه اللحظة :

ـ أسرعوا .. لن تتوقّف وسائل الأمن الاحتياطية هذه ، سوى لحظات .

اختلج قلب (أكرم) مرة أخرى ، وانطلق يعدو نحوهم ، حاملاً (مشيرة) ، التى راحت تهتف :

ـ لقد فعلوها .. لقد فعلوها ..

استقبلهم أعضاء الفريق فى فرحة ، وهتفت (نشوى) ، وهى تستقبلهم :

ـ من حسن الحظ أننى كشفت وجود شبكة الأمن الاحتياطية ، الخاصة بهذا المكان ، فى اللحظة المناسبة .

هتف (أكرم) :

هذا من حسن طالعنا .

كانت (مشيرة) تشعر بلهفة حقيقة لرؤيتهم ، لكن لأنهم لم يكبروا يومًا واحدًا ، فقد خشيت أن يروها فى هذا العمر ، فخفضت عينيها ، وهى تقول بصوت متهدّج :

ـ كم تسعدنى رؤيتكم مرة ثانية .. إننى أدين لكم بحياتى ، وحياة أحب الناس إلى قلبى .

ارتفع حاجبا (سلوى) فى تعاطف ، ومدّت سبّابتها ، ترفع ذقن (مشيرة) ، لتواجهها مباشرة ، وهى تقول فى حنان :

ـ رباه !.. لا بد أنه لديك وصفة سحرية ، للحفاظ على جمالك هذا !

كانت عبارة واضحة المجاملة ، إلا أنها صنعت مفعولها مع (مشيرة) ، التى رفعت عينيها إليها ، وابتسمت قائلة :

ـ كنتِ دومًا أجمل منى يا (سلوى) .

تلفَّت (طارق) حوله فى توتر ، وهو يقول :

ـ كم أعشق هذه اللحظات العاطفية الرقيقة ، ولكننى أقترح أن نبتعد عن هنا بأقصى سرعة ، فوسائل الأمن قد تعود إلى العمل فى أية لحظة .

قال (نور) فى حزم :

ـ صدقت .

ثم التفت إلى (نشوى) ، متسائلاً :

ـ هل عثرت على الخريطة الإنشائية للمكان ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، قائلة :

ـ وأحفظها عن ظهر قلب .

تساءل (رمزى) فى قلق :

ـ وماذا عن نظم الأمن ؟!

أشار (طارق) إلى صدره ، قائلاً فى حزم :

ـ إنها مهمتى .

أمسك (نور) كتفيه ، وتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

ـ (طارق) .. هل تدرك ما نفعله بالضبط ؟!

أجابه (طارق) فى حزم :

ـ لقد اخترت يا جَدى .

سألته (سلوى) فى قلق :

ـ اخترت القتال ؟!

التفت إليها ، مجيبًا فى حزم :

ـ اخترت عائلتى .

سالت دموع الفرحة من عينَىْ (نشوى) ، التى انهالت على أسوار مقر المخابرات التكنورقمية كالمطر ، لم يبد أن تلك الأسوار قد تأثرت ، وإنما كانت الصواريخ ترتطم بها ، ثم ترتد عنها ، كما لو أنها مصنوعة من المطاط ، لتنفجر على قيد أمتار منها ..

وعلى العكس من ذلك ، كانت صواريخ طاقم الحراسة تصيب أهدافها ، وسط رجال المقاومة ، وتنسف بعضهم فى عنف ، فى حين تجبر بعضهم الآخر على الاختباء ، ومحاولة الاحتماء بالصخور ، التى لا تلبث أن تُنسف بدورها ، لتقضى على من خلفها ..

وفى توتر بلا حدود ، هتف الدُّب بالذئب :

ـ هجوم فاشل .. لابد أن ننسحب فورًا ، قبل أن يبيدونا عن آخرنا .

هتف به الذئب :

ـ تماسك يا رجل .. لم نبدأ هجومنا الحقيقى بعد .

صاح الدُّب :

ـ ومتى سنفعل ؟!.. بعد أن يتم سحقنا جميعًا .

صاح الذئب فى صرامة :

ـ المفترض أن تولينى ثقتك .

صاح الدُّب ، ليعلو بصوته فوق دوى الانفجارات :

ـ وماذا عن الرجال ، الذين يدفعون ثمن هذا ؟!.. لمن سيولون ثقتهم ؟!

هتف به الذئب :

ـ لما سيرونه .

لوَّح الدُّب بذراعيه الضخمين ، هاتفًا :

ـ ومتى يرونه ؟!

ألقى الذئب نظرة على ساعته ، وتألَّقت عيناه ، وهو يجيب :

ـ الآن .

مع آخر كلمته ، صدر صوت غريب ، فوق رءوس الرجال ، فرفعوا أعينهم إلى أعلى ، ليروا كتلة من اللهب تطير عاليًا ، متجاوزة أسوار مقر قيادة المخابرات التكنورقمية ، قبل أن يدوى فى موضع سقوطها انفجار رهيب ..

انفجار أطاح بالعديد من رجال الحراسة والأمن ، فطاروا عاليًا ، قبل أن تهوى أجسادهم من فوق الأسوار ، ويسقطون جثثًا هامدة ، على الصخور المحيطة بالمقر ..

وقبل أن يهتف الدُّب ذاهلاً ، طارت كتلة لهب ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ومع الانفجارات المتتالية ، داخل الأسوار ، استعاد الرجال حماسهم ، وشملتهم فرحة جنونية ، راحوا بعدها يطلقون أسلحتهم نحو الأسوار ، على الرغم من أنها لم تتأثر بصواريخهم من قبل ..

حتى (محمود) و(طارق) الصغيران ، راحا يطلقان النيران مع باقى الرجال ، وقد بدا لهما أن تلك الانفجارات تقرِّبهما أكثر وأكثر من ذويهما ..

وبكل حماسه ودهشته وانبهاره ، هتف الدُّب :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابه الذئب فى ظفر ، وعيناه تتألقان على نحو عجيب :

ـ منجنيق(*) .. سلاح من العصور القديمة ، يتناسب مع حرب الأسوار هذه ، ولكننى قمت بتطويره ، فبدلاً من أن يقذف الحجارة ، استخدمت مادة كيماوية شديدة التفجير .

وابتسم وهو يلوّح بذراعيه ، مستطردًا :

ـ وها أنتذا ترى تأثيره .

هتف الدُّب :

ـ تأثيره مدهش .

ثم استدرك فى قلق :

ـ ولكننا ما زلنا خارج الأسوار .

أجابه الذئب فى سرعة :

ـ مؤقتًا !

أطلّ التساؤل من عينى الدُّب ، فاستطرد الذئب فى حزم :

ـ ألم تسأل نفسك لماذا يقاتل رجالكم فى غياب رجالى ؟!

(*) المنجنيق : اسم أعجمى معرّب ، لآلة قذف ، استخدمت فى حالات حروب الحصار ، من القرن الخامس قبل الميلاد ، وحتى القرن الخامس عشر الميلادى ، وكانت تستخدم لرمى السهام والحجارة ، وقدور الحشرات السامة .. ولقد بطل استخدامه ، مع اختراع البارود والمدافع .

غمغم الدُّب فى حذر :

ـ المفترض أن أثق بك .

اتسعت ابتسامة الذئب ، وهو يقول :

ـ حسن فعلت ، فلقد استوحيت الخطة من غرامك بتلك الأفلام القديمة .

غمغم الدُّب بصوت مبحوح :

ـ أفلام فرسان العصور الوسطى ؟!

أشار الذئب بيده ، مجيبًا :

ـ بالضبط .

تتبّع الدُّب يده ، فوقع بصره على رجال الذئب ، وهم يدفعون أمامهم سلالم عالية متحركة ، تفوق الأسوار ارتفاعًا ، ويتجهون بها إلى مقر قيادة المخابرات التكنورقمية ..

وبكل انبهاره ، وفى صوت لاهث من شدة الانفعال ، هتف الدُّب :

ـ هذا ما كانوا يفعلونه أيامها .

ربّت الذئب على كتفه المكتظ ، وهو يقول ، وقد تضاعف بريق عينيه كثيرًا :

ـ بالضبط يا صديقى .. بالضبط .. لقد قالها (أينشتين) قديمًا(*) ، ولم ينتبه إليه أحد .. قال : إنه لا يدرى كيف ستدور الحرب العالمية الثالثة ، ولكن من المؤكد أن الحرب الرابعة ستعود بالزمن إلى الوراء ، وتستخدم العصى والأحجار .

والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يراقب رجاله ، الذين بدءوا فى تسلُّق السلالم العالية ، للهجوم على الأسوار ، مستطردًا :

ـ أرأيت كم كان عبقريًا ؟

فى نفس اللحظة ، التى نطق بها عبارته ، كان أحد رجال الأمن يعدو نحو القائد الأعلى ، هاتفًا :

ـ سيِّدى .. القتال عنيف للغاية ، ورجالنا لم يتدرَّبوا على هذا النوع من القتال الهمجى ، ولو لم يعد الكمبيوتر إلى العمل ، قد نخسر كل شىء .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى غضب وصرامة ، وهو يقول :

ـ سيعمل .

(*) (ألبرت أينشتين) : (1879 ـ 1955م) : عالم أمريكى فى الفيزياء النظرية اشتهر بنظريته النسبية ، ولِدَ فى (ألمانيا) ، ودرس فيها وفى (سويسرا) ، التى تجنَّس بجنسيتها ، حصل على الدكتوراه من جامعة (زيورخ) عام 1905م ، وفاز بجائزة (نوبل) ، عام 1921م .

ثم شدَّ قامته ، وأضاف بمنتهى الصرامة :

ـ أريد رجلين .. سأواجه هذا الكمبيوتر بنفسى .

قال الرجل ، فى توتر شديد :

ـ ولكن العلماء يؤكدون .

صاح به فى غضب :

ـ أطع الأوامر فحسب .

ارتجف الرجل ، وهو يؤدى التحية العسكرية ، قائلاً :

ـ كما تأمر يا سيِّدى .. كما تأمر .

قالها ، واندفع لتنفيذ الأمر ، فى حين قال القائد الأعلى ، فى غضب شديد :

ـ ربما كان ما يحدث من حسن حظكم ، يا فريق (نور) ، ولكن ذلك الكمبيوتر الذى أفسدتموه سيعمل ، وسيستجيب لى ، ويُطيع أوامرى ، حتى لو اضطررت للإعلان عن هويتى الحقيقية .. لن تربحوا هذه الجولة .. لن تربحوها أبدًا ..

قالها وعيناه تلتمعان ببريق وحشى ..

ببريق رهيب مخيف ..

للغاية ..

* * *

« يا إلهى !.. كيف توصّلت إلى هذه الممرات ؟! »

هتفت (مشيرة) بالعبارة مبهورة ، وهى تسير مع الباقين عبر ممرات خافتة الإضاءة ، أسفل مقر قيادة المخابرات التكنورقمية ، فأجابها (طارق) ، فى شىء من الزهو :

ـ أمى عبقرية فى التعامل مع الكمبيوتر .

التفتت إليه (نشوى) ، وضغطت يده فى حنان ، فأضاف (نور) :

ـ لقد استخدمت لغة الكمبيوتر الأساسية ، وتوغّلت فى النظام ، وعرفت أين يمكن أن نسير ، دون أن يفاجئنا رجال الأمن .

غمغمت (سلوى) :

ـ لست أصدق أنهم يتركون ممرات كهذه بلا حراسة .

أجابتها (نشوى) :

ـ هناك وسائل إلكترونية عديدة تحميها ، وترصد أية حركة داخلها ، كما ترصد الانبعاثات الحرارية أيضًا ، وتعمل أجهزتها الأمنية فور الرصد ، للقضاء على أى شخص ، يحاول التسلّل إليها .

هتفت (مشيرة) فى هلع :

ـ يا إلهى !

ولكن (أكرم) ضغط يدها فى حنان ، قائلاً :

ـ اطمئنى .. (نشوى) أبطلت مفعول نظم الأمن كلها .

وقبل أن تهدأ نفس (مشيرة) ، غمغمت (نشوى) :

ـ مؤقتًا للأسف ..

هتفت (مشيرة) فى ذعر :

ـ ماذا ؟!

قال (رمزى) فى لهجة هادئة ، لا تتناسب مع الموقف :

ـ قبل أن تبدأ أجهزة الأمن عملها بثلاثين ثانية ، ستضاء كل تلك المصابيح الحمراء على الجدار .

تطلّعت (مشيرة) فى خوف إلى تلك المصابيح ، وهى تغمغم :

ـ وهل ستكفينا تلك الثوانى الثلاثين ؟!

فى هذه المرة لم يجبها أحدهم بحرف واحد ..

حتى (أكرم) نفسه ..

ففى الواقع ، كان السؤال يدور فى رءوسهم جميعًا ..

لو أضيئت تلك المصابيح ، هل ستكفيهم تلك الثوانى الثلاثين لفعل أى شىء فى الوجود ؟!

هل ؟!..

فى نفس اللحظة ، التى انطرح فيها السؤال على أذهانهم ، كان القائد الأعلى يقف أمام الكمبيوتر المركزى ، يتطلّع إليه فى صمت ، قبل أن يقول للرجلين المصاحبين له فى صرامة :

ـ انتظراتى فى الخارج .

أدى الرجلان التحية العسكرية ، واستدارا لينفذا الأمر ، ولكنه استطرد بمنتهى الصرامة :

ـ هذا الأمر يشمل الجميع .

أسرع العلماء يتبعون الرجلين دون مناقشة ، حتى أصبح الجميع خارج المكان ، وهنا شدّ القائد الأعلى قامته ، وقال فى صرامة مخيفة :

ـ ستطيع أوامرى .

قالها ، ووضع راحتيه على جسم الكمبيوتر ، ثم أغلق عينيه فى قوة ..

ورويدًا رويدًا ، وعلى نحو مدهش ، راح جسده يتوهّج ..

ويتألّق ..

ويضىء ..

كان كأنه يحوى داخله طاقة هائلة ..

طاقة تكفى لإنارة مدينة كاملة ..

ولقد انتظر ، حتى صارت الحجرة كلها تموج بضوء ساطع ، ينبعث كله من جسده ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، ودفع راحتيه ، وكأنه يدفع الكمبيوتر كله أمامه ..

وعلى نحو مذهل ، انسحبت تلك الطاقة كلها من جسده ، وانتقلت إلى الكمبيوتر ، الذى انتقل إليه الوهج كله لحظات ، قبل أن يخبو فى تدريج سريع ..

ثم عاد الكمبيوتر للعمل دفعة واحدة ..

ومع عودته للعمل ، على هذا النحو المباغت ، استعادت أسوار المقر كل وسائلها الأمنية ..

وأضيئت تلك المصابيح الحمراء ، داخل ذلك الممر السفلى للمقر ..

أضيئت كلها ..

بلا استثناء ..

* * *

5 ـ طـاقـة ..

شهقة قوية ، تلك التى انطلقت من حلق (نشوى) ، عندما أضيئت تلك المصابيح الحمراء دفعة واحدة ..

شهقة انخلع لها قلب (أكرم) ، فجذبها إليه ، وضمها فى قـوة ، وكأنما يحاول حمايتها من خطر ، لم يفصح عن نفسه بعد ..

أما الباقون ، فقد تجمّدوا فى أماكنهم تمامًا ، وغمغمـت (سلوى) ، بكل ما يعتمل فى أعماقها من توتر وفزع :

ـ ثلاثون ثانية .

تطلّع (رمزى) إلى مخرج الممرات ، الذى بدا على بعد مـا يقرب من مائة متر ، وتمتم فى توتر شديد :

ـ لن تكفى حتمًا .

وتلفّتت (نشوى) حولها فى عصبية ، بحثًا عن أية وسيلة ، يمكنها اللجوء إليها ، فى حين غمغم (نور) ، فى حزم لا يتفق مع الموقف :

ـ (محمود) .

التفت الجميع إليه فى دهشة ، فاعتدل ، وشدّ قامته ، مضيفًا :

ـ سلاحنا السرى .

لم يفهم أحدهم معنـى مـا قالـه بـالضبط ، ولكـن الثوانـى كـانت تمضى فى سرعة مخيفة للغاية ..

خمس وعشرون ثانية تبقّت ..

أربع وعشرون ..

ثلاث وعشرون ..

وفجأة ، سمعوا جميعًـا خبطـات عنيفـة علـى ذلـك البـاب ، فـى نهاية الممرات ..

وفى حركة غريزية ، التفت الجميع إلى الباب ..

وخفقت قلوبهم فى عنف ..

عنف يفوق تلك الخبطات ..

وفى عصبية ، غمغم (أكرم) :

ـ ترى هل ...

قبل حتى أن يتم سؤاله ، دوت ضربة قوية على الباب ..

ثم سقط دفعة واحدة ..

سقط ذلك الباب المعدنى السميك ، وارتطم بـالأرض فـى عنـف شديد ، ضاعف الممر من دويه ..

ثم ظهر ذلك الظل ..

ظل بشرى ، اختفت ملامحه ، خلف ظل الجدار ، قبل أن يتقدَّم إلى دائرة الضوء فى بطء ، وكأنما يسير مع إيقاع الثوانى ..

عشر ثوان تبقَّت ...

تسـع ..

ثمـان ..

ثم ظهر (محمود) ..

ظهر عند المخرج وهو يقول فى شىء من الارتباك :

ـ أتعشَّم أن أكون قد وصلت فى الوقت المناسب .

ألجم الذهول الجميع ، وهم يحدقون فيه ، ولكن (نور) هتف :

ـ ست ثوان تبقَّت يا (محمود) .

التفت (محمود) فى هدوء إلى تلك المصابيح المضاءة ، ودون أن يشرح له (نور) شيئًا ، بدا كأنه قد استوعب الموقف كله ، فاتجه نحو جزء من الجدار ، وضمّ قبضته ، ثم هوى بها عليه ..

وأمام أعينهم الذاهلة ، تحطَّم ذلك الجزء من الجدار فى عنف ، ودفع (محمود) يده عبره ، وجذب كابلاً سميكًا من الألياف الزجاجية ، وهو يشير بيده الأخرى إلى المخرج ، قائلاً :

ـ أسرعوا .

ألقوا ذهولهم وتساؤلاتهم خلف ظهرهم ، وانطلقوا يعدون عبر الأمتار المائة المتبقية ، قبل المخرج ..

أما (محمود) ، فقد أمسك الكابل بقبضته فى قوة ، ثم راح جسده يرتجف على نحو عجيب ، ومع ارتجافته تراقصت أضواء المصابيح الحمراء فى البداية ..

ثم راحت تخفت ..

وتخفت ..

وتخفت ..

كانت قد تبقَّت ثانية واحدة ، لذا فقد انتفض جسد (نشـوى) ، وهى تعبر إلى جواره ، هاتفة فى أعماقها :

ـ ترى هل ..

مضت الثانية المتبقية ، و ...

لم يحدث شيئًا ..

فقط ازدادت ارتجافات جسد (محمود) قوة وعنفًا ، كما لو أن كل الإشارات قد عبرت جسده هو ، بدلاً من أن تسرى فى الأسلاك ..

وأخيرًا ، عبر الجميع المخرج إلى قاعة صغيرة آمنة ، والتفت (نور) إلى (محمود) ، هاتفًا :

ـ كلنا هنـا .

مع قوله ، أفلت (محمود) الكابل ، ثم وثب عبر المخرج ..

ومن خلفه ، دوت فرقعة هائلة ..

فرقعة غمرت بعدها خيوط الليزر القاتلة الممر كله ، على نحو جعل (مشيرة) تطلق شهقة أخرى ، هاتفة :

ـ رباه !.. هل كنا ..

قاطعها (محمود) ، وهو يسأل بلهجته الخجول ، التى اعتادها منه الجميع فيما مضى :

ـ هل الجميع بخير ؟!

التقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، وابتسم قائلاً :

ـ حمدًا لله .

ثم مد يده إلى (محمود) ، مستطردًا :

ـ (أكرم) .. المفترض أننى بديلك فى الفريق .

صافحه (محمود) فى حيرة ، وهو يسأله فى خجل :

ـ هل .. هل التقينا من قبل ؟!

قبل أن يجيبه (أكرم) ، هتفت (سلوى) :

ـ رباه !.. (محمود) .. لقد استعدت طبيعتك الـ ...

بترت عبارتها دفعة واحدة ، ولكنه أكملها لها فى مرارة :

ـ البشرية .. أليس كذلك ؟!

خفض الجميع عيونهم فى أسى ، فى حين غمغم (نور) فى حزم :

ـ إنه يعلم .

أما (مشيرة) ، فقد هتفت ذاهلة :

ـ أهو ليس بشريًا ؟

ثم استدركت ، فى حماس صحفية قديمة :

ـ كان ينبغى أن أدرك ، مع تلك القوة الهائلة التى استخدمها .

تساءلت (نشوى) فى فضول ولهفة :

ـ حقًا .. من أين اكتسبت هذه القوة يا (محمود) ؟!

أمسك (رمزى) كتفها ، وهو يقول :

ـ فيما بعد يا عزيزتى .. فيما بعد .

شدَّ (محمود) قامته ، وهو يقول فى حزم ، لم يعتده رفاقه منه :

ـ نعم ، فيما بعد ، فالآن ينبغى أن تسرعوا ، قبل أن يصبح الخروج من هنا مستحيلاً .

أسرع الجميع يتبعونه ، فى حين تساءلت (مشيرة) فى لهفة ، لم تفارقها بعد ، على الرغم من كل هذه السنوات :

ـ ولكننى ما زالت أتساءل ، عن سر هذه القوة ..

« طاقة (الزوريوم) .. »

انبعثت العبارة من خلفهم ، فى صرامة شديدة ، فـالتفتوا كلهم فى آن واحد نحو مصدرها ، ووقعت عيونهم المندهشة على القائد الأعلى ، الذى يقف معقود الساعدين ، بينهم وبين مخرج الممرات ، ومن عينيه تطل نظرة بالغة الغضب والشراسة ..

وبكل دهشتها وذعرها ، هتفت (سلوى) :

ـ رباه !.. من أين أتيت ؟!

ضم (أكرم) (مشيرة) إليه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ليس حقيقيًا .. إنها صورة هولوجرامية متطوّرة .

شدَّ القائد الأعلى قامته ، ثم استدار إلى الجدار ، وهوى عليه بقبضته فحطَّم جزءًا منه فى عنف ، قبل أن يعود لعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً فى صرامة وحشية :

ـ هل تستطيع صورة هولوجرامية أن تفعل هذا ؟!

ران صمت رهيب على المكان بضع لحظات ، قبل أن يسحب (طارق) مسدسه التردُّدى بحركة متوترة ، ويصوِّبه إلى القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ لو حاولت أن تمس شعرة واحدة من أسرتى ، فـ ...

قاطعه القائد الأعلى ، وهو يدير عينيه إليه فى برود :

ـ فماذا ؟!

انعقد حاجبا (محمود) فى شدة ، وهو يتطلَّع إليه ، فأدار القائد الأعلى عينيه إليه فى برود شرس ..

ولثانية أو ثانيتين ، تطلَّع كلاهما إلى عينى الآخر ، فى تحدٍّ شديد ..

ثم كان (محمود) أوَّل من تحرَّك ..

مدَّ يده فى هدوء ، وأمسك يد (طارق) ..

وانتفض هذا الأخير ..

انتفض واتسعت عيناه لحظات ، ثم سرت فى جسده ارتجافة قوية ، وهو يحدِّق فى وجه (محمود) ، الذى قال فى صرامة :

ـ اذهبوا .

ظلَّ (طارق) يحدِّق فيه لحظات ، فى دهشة شديدة ، قبل أن ينتفض مرة أخرى ، وكأنما يفيق من حلم ، ويهتف بالآخرين :

ـ أسرعوا .. هيا ..

ولأوَّل مرة فى حياته ، لم يفهم (نور) ما حدث ..

ولم يتدخَّل ..

فقط انطلق يعدو مع الآخرين ، وكلهم يلقون نظـرة قلقـة علـى (محمود) ، الذى كرَّر ، فى صرامة أكثر :

ـ اذهبـوا .

قال القائد الأعلى فى غضب وحشى :

ـ أعلم أنك قد هزمت كل رجل أمن التقيت به ، فى طريقك إلى هنا ، ولكن طاقة (الزوريوم) لن تصلح وحدها لمواجهتى .

اعتدل (محمود) ، وعقد ساعديه أمام صدره بدوره ، وهو يقول :

ـ سـنرى ..

بعدها توهَّج المكان كله ..

وبمنتهى الشـدة ..

* * *

فجأة ، وعندما بدا كأن المقـاومة ستفوز بنصر سـاحق عـادت كل أجهزة الأمن للعمل دفعة واحدة ..

وبعنـف ..

فجـأة ، أضيئـت أنـوار الأسـوار كلهـا ، وسـرت فيهـا موجـة كهرومغطيسية شديدة العنف ، مع طرقعة قوية ، تكاد تصم الآذان ..

وبمنتهى العنف ، ارتدَت السلالم العالية ..

وهـوت ..

ومعها هوى عشرات من رجال الذئب ..

ومع فرقعة أخرى مكتومة ، تكوَّنت قبـة متألِّقـة لامعـة ، علـى قمة المبنى كله ..

ثم انطلقت المدافع الترددُية الهائلة ..

وفى سرعة ، راحت تحصد رجال المقاومة ..

وتقتلهم ..

وتسحقهم سحقًا ..

حتى تلك الكتل المشتعلة ، التى تقذفها آلات المنجنيق ، كانت ترتطم بتلك القبة ، وترتد عنها فى عنف وتسقط وسط رجال المقاومة ..

وتنفجر ..

أما أولئك ، الذين نجحوا فى عبور الأسوار ، فقد سقط معظمهم ضحية لأجهزة الأمن الذكية ، التى تطلق أشعتها نحو من لا يرتدون الشعار الرقمى الخاص بالمخابرات التكنورقمية ..

ومن نجا منهم وقع فى الأسر ..

ولم يكن أمامه سوى الاستسلام ..

« إنها مذبحة .. »

صرخ (محمود) بالعبارة ، وهو يصرخ برجاله مضيفًا :

ـ انسحاب .. انسحاب .

وكان الرجال كأنهم ينتظرون هذا الأمر ، فقد انطلقوا يعدون فارين بكل ما يمتلكون من قوة ، وتبعهم رجال (طارق) ، ورجال الدُب ، ومن تبقى من رجال الذئب ، الذى احتقن وجهه فى شدة ، وهو يهتف :

ـ ليس هذا من حقه .

جذبه الدُب ، هاتفًا :

ـ ليس هذا وقت صراع الزعامة .. فلنسرع قبل أن يتم حصد الجميع .

تبعه الذئب ، وهو يهتف فى غضب :

ـ المسألة أكبر من مجرد صراع زعامة .. ينبغى أن يكون الانسحاب منظمًا كالهجوم ، وإلا فاقت خسائره القتال نفسه .

هتف به الدُب ، وهو يعدو معه ، محاولين الاحتماء بالصخور وبقايا الأطلال :

ـ لا وقت لتنظيم أى شىء .. لقد ربحوا المعركة ، وأفضل ما نفعله هو أن نفرّ من هنا .

صرخ الذئب ، فى انفعال شديد :

ـ ليست معركة ، إنها مجرد جولة .

جذبه الدُب خلف أطلال مبنى قديم ، وتوقف هاتفًا :

ـ أى جولة ؟.. لقد خسرنا ما يقرب من ستين فى المائة من رجالنا ، وكشفنا كل وسائلنا ، وخسرنا معها الروح المعنوية للرجال ، الذين أدركوا فارق القوة الحقيقى ، بينهم وبين من يحاربونهم .

هتف الذئب :

ـ كل هذا يمكن إصلاحه ، ولكن ...

قبل أن يتمّ عبارته ، دوى انفجار آخر عند قمة المبنى ، وانهارت كتل من الصخور على مقربة منهما ، فى حين غطتهما سحابة من الغبار ، جعلت الدُب يسعُل فى شدة ، وهو يهتف :

ـ دعنا نناقش هذا فيما بعد .. المهـم الآن أن ننجو .. وأن نبتعد عن هنا .. وبأقصى سرعة .

فى هذه المرة لم يحاول الذئب مناقشته ، بل انطلق يعدو معـه ، وقد احتقن وجهه على نحو عجيب ..

فبالنسبة إليه ، لم يكن الأمر مجرَّد خسارة جولة ..

بل خسارة تاريخ ..

تاريخـه ..

* * *

« إلى أين نتجه بالضبط ؟!.. »

ألقت (مشيرة) السؤال ، وهى تلهث فى قوة ، مع انطلاقتهـا مع أفراد الفريق ، عبر ممرات مبنى قيادة المخابرات التكنورقميـة ، فأجابها (طارق) فى حزم ، يحمل لمحة عجيبة من التوتر :

ـ إلى حيث مركبات الطوارئ .

غمغمت (سلوى) فى دهشة :

ـ مركبات الطوارئ .

وقالت (نشوى) ، فى دهشة أكبر :

ـ لا وجود لمثل هذا الشىء ، ضمن الخريطة الإلكترونية للمبنى .

أجابها (طـارق) ، وتوتره يزداد وضوحًا ، على الرغم من لهجتـه الحازمة :

ـ كان داخل قفص نيران خاص .

قالت (نشوى) فى دهشة :

ـ داخل مـاذا ؟!

أجابها ، وهو يسرع الخطى :

ـ قفص النيران هو تطوير لما كنتم تعرفونه فى عصركم باسم حائط النيران فى الكمبيوتر ، والذى كان يستخدم لمنـع أى دخيل من ولوج البرنامج ، دون معرفة مراقبيه ..

سألته فى فضول :

ـ وكيف يعمل ؟!

قاطعها (أكرم) فى عصبية :

ـ أتظنينه وقتًا مناسبًا ؛ للاستزادة من المعرفة ؟!

قال (نور) فى اهتمام :

ـ السؤال هو : من أين أتت تلك المعرفة ؟!

غمغمت (مشيرة) :

ـ (طارق) رجل أمن ، وأظنها معلومة متاحة لكل رجال الأمن هنا .

بدا توتر (طارق) واضحًا ، وهو يقول :

ـ لم أعلم بها إلا منذ دقائق قليلة .

سأله (نور) فى حذر ، وهو يعلم الجواب مسبقًا :

ـ ومن أخبرك بها ؟

صمت (طارق) لحظات ، قبل أن يجيب فى عصبية :

ـ هو .

تمتمت (مشيرة) فى دهشة :

ـ هو من ؟!

أجابها (رمزى) ، فى توتر مماثل :

ـ (محمود) بالطبع .

هتفت بكل فضولها :

ـ وكيف أخبرك بها ؟!

لم تتلق إجابة على سؤالها ، وإن بدا كأن الجميع قد أدركوا كيف ، ولكن (نور) وحده غمغم :

ـ السؤال هو : من أين أتى (محمود) بالمعلومة ؟

عقدت (نشوى) حاجبيها ، وهى تقول فى توتر :

ـ نعم ، هذا هو السؤال .

توقَّف (طارق) فى هذه اللحظة ، ولهث وهو يقول :

ـ هنا .

تلفَّت الجميع حولهم فى حيرة ، قبل أن يتساءل (أكرم) :

ـ هنا أين ؟!

التفت (طارق) إلى الجدار ، وتطلَّع إليه لحظة فى صمت ، ثم مرَّر يده على جزء منه ، فتموَّج الجدار ، كما يحدث فى مكتب القائد الأعلى ، ثم تلاشى جزء منه ، وظهرت خلفه قاعة صغيرة ، تحوى ثلاث مركبات متطوِّرة ، أشبه بتلك الأطباق الطائرة ، التى وضعتها روايات الخيال العلمى القديمة ..

وفى حزم ، قال (طارق) :

ـ أسرعوا .

عبر الجميع تلك الفجوة فى الجدار ، وما إن أصبحوا داخل القاعة ، حتى تموَّجت أطراف الفجوة ، ثم عاد الجدار إلى موضعه مرة أخرى ، فغمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ لن يمكننى الاعتياد على هذا أبدًا .

التصقت به (مشيرة) فى حنان ، قائلة :

ـ هذه طبيعتك .

لم يبال أحد بحديثهما ، و(طارق) يشير إلى المركبات الثلاث ، قائلاً :

ـ سنستقل المركبة الأولى والثانية ، وسننطلق بهما عبر هذا الممر ، الذى سيقودنا إلى خارج المكان .

سألته (نشوى) فى اهتمام :

ـ إلى أين بالضبط ؟!

بدا حائرًا ، وهو يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى .

ران على القاعة صمت مهيب ، بعد أن نطق عبارته الأخيرة تلك ..

ليس يدرى !..

سيستقلون إذن مركبتين ، يرونهما لأوّل مرة ، لينطلقوا بهما إلى جهة مجهولة ..

جهة قد يكون فيها نجاتهم ..

أو فناؤهم ..

لا أحد يدرى ..

ولا أحد يمكنه الجزم ..

ولا أحد يمكنه اتخاذ القرار ..

وفورًا ..

« حسنًا .. هيا بنا .. وعلى بركة اللّه .. »

قالها (نور) فى حزم ، وهو يتجه إلى إحدى المركبتين ، فسأله (رمزى) فى قلق متوتر :

ـ وماذا عن (محمود) ؟!

لم يتوقَّف (نور) ليسأله عما يعنيه ، فأضافت (سلوى) :

ـ ألن ننتظره ؟!

قال (طارق) فى عصبية ، وهو يتجه نحو المركبة الثانية :

ـ كلاَّ ..

توقَّف (أكرم) ، هاتفًا :

ـ لن نتخلَّى عنه ، بعد أن فعل ما فعله من أجلنا .

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى صرامة :

ـ استقل و(مشيرة) تلك المركبة مع (طارق) ، وسأستقل أنا و(سلوى) و(نشوى) و(رمزى) المركبة الثانية .

هتف (أكرم) فى عناد :

ـ سأنتظر (محمودًا) .. لن أرحل دونه .

شد (نور) قامته ، وبدا شديد الصرامة والقسوة ، وهو يقول :

ـ هذا أمر .

بدا لحظة كأن (أكرم) سينفجر فى وجهه ، فقد احتقن وجهه هو فى شدة ، وانفرجت شفتاه لحظة ، وساد الجميع جو من التوتر والقلق ، حتى (مشيرة) نفسها ، التى ضغطت ذراع (أكرم) بأصابع مرتجفة ، ولكن هذا الأخير لم يلبث أن غمغم فى توتر :

ـ فلْيَكُنْ .

ثم جذب زوجته ، ودلف إلى المركبة الأولى مع (طارق) ، فى حين استقل (نور) مع الباقين المركبة الثانية ، وهو يقول لابنته :

ـ حاولى استيعاب أسلوب قيادتها ، من خلال الكمبيوتر .

جلست (نشوى) أمام كمبيوتر المركبة ، فى حين اتخذ الآخرون أماكنهم ، و(سلوى) تغمغم :

ـ ما زلت لم أفهم ، لماذا تركنا (محمود) خلفنا ؟

غمغم (نور) فى صرامة ، امتزجت بعصبية :

ـ على كلٍّ أن يؤدى واجبه .

همَّت (سلوى) بإلقاء سؤال آخر ، لولا أن قالت (نشوى) ، فى دهشة عصبية :

ـ مستحيل !

التفت إليها الجميع ، و(رمزى) يسألها فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟!

بدا وجهها ممتقعًا ، وهى تقول :

ـ هذا الكمبيوتر .

سألها (نور) :

ـ ماذا عنه ؟!

أجابته فى صوت مرتجف :

ـ لا يشبه أى كمبيوتر عرفته من قبل .

قالت (سلوى) فى حذر قلق :

ـ كل شىء تطوّر ، و ...

قاطعتها بصوت أكثر ارتجافًا :

ـ كلاَّ .. إنه ليس تطويرًا لأى كمبيوتر أعرفه .

تفجَّرت الدهشة فيهم جميعًا ..

ومن العيون ، أطلَّت نظرة عجيبة .

نظرة تجمع بين مشاعر شتى ..

بين الحيرة ..

والقلق ..

والتوتر ..

والخوف ..

ولقد تضاعفت هذه المشاعر كلها ، عندما أضافت هى ، وقد بلغ صوتها قمة ارتجافته :

ـ ولا لأى كمبيوتر ، على كوكب الأرض ..

واتسعت العيون عن آخرها ..

فالمعنى هنا كان مخيفًا ..

مخيفًا إلى أقصى حد ..

* * *

6 ـ من أين ؟!

لم يدر أحد أبدًا ماذا دار هناك ، فى تلك الممرات السفلية ، بين القائد الأعلى ، ونسخة (الزوربوم) الحيوى ، التى حوت كل طاقة وذكريات (محمود) ..

فقط سجلت أجهزة أمن القلعة دفقًا هائلاً من الطاقة ، كاد يحرق الأجهزة كلها ، قبل أن يتوقَّف ، ويخبو رويدًا رويدًا ..

ومع تلك الإشارة ، التى سجلتها أجهزة أمن المبنى ، اندفعت ثلاث فرق أمنية إلى الممرات .. إلى حيث انبعث تدفق الطاقة الهائل .. كانوا يتوقعون أن يكون رجال المقاومة قد عثروا على فجوة ما ، قادتهم إلى الممرات السفلية ..

ولكن ما وجدوه هناك ، كان مدهشًا ومحيرًا ..

إلى أقصى حد ..

لقد بلغوا المكان ، فعثروا على شخصين ، أحدهما يقف صارمًا ممشوق القامة ، والثانى ملقى أرضًا ، أشبه بجثة هامدة ..

وبمنتهى الدهشة ، هتف قائد الفرق الثلاث :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ كان لابد أن أتدخَّل بنفسى ؛ لضبط ميزان الأمور .

نقل الرجال أبصارهم فى توتر ، بينه وبين (محمود) ، المستلقى أرضًا فى سكون تام وبلا أية إصابات ، ودارت فى رءوسهم آلاف الأسئلة ، التى لم يجرؤ أحدهم على البوح بحرف واحد منها ، حتى أضاف القائد الأعلى :

ـ أعيدوه إلى مركز الأبحاث ، وأخبروا الدكتور (راشد) ضرورة وضعه داخل قفص من الطاقة .

انحنى أحدهم يفحص (محمود) ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ لا نبض على الإطلاق .. لقد لقى مصرعه .

صاح فيه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ أطع الأوامر دون مناقشة .

أسرع الرجال يحملون جسد (محمود) ؛ لتنفيذ الأمر ، فى حين تساءل قائدهم فى حذر :

ـ وماذا عن الآخرين ؟!.. هل ...

قاطعه القائد الأعلى بنفس الصرامة ، وإن تسللت إليها نبرة شرسة :

ـ سأتولى أمرهم بنفسى .

بدت الدهشة على وجه الرجل ، وهمَّ بقول شىء ما ، إلا أنه تراجع فى سرعة ، واكتفى بتأدية التحية العسكرية ، قبل أن يهتف بجنوده :

ـ انصراف .

انصرف الجنود ، حاملين جسد (محمود) ، وتابعهم القائد الأعلى ببصره ، حتى اختفوا تمامًا ، ثم شدَّ قامته ، وانعقد حاجباه فى صرامة قاسية ، وهو يقول :

ـ ينبغى أن أتولَّى أمرهم بنفسى ، فمن الخطأ أن يرى آخرون ما سيحدث .. من الخطأ تمامًا .

قالها ، وسار فى حزم عبر الممرات ، فى طريقه إلى هناك ..

إلى حيث مركبات الطوارئ ..

غير الأرضية ..

* * *

« لقد انسحبوا جميعًا .. »

نطقها قائد فرق أمن المقر فى ظفر ، وهو يلتفت إلى (هيثم) ، مستطردًا :

ـ هذا يعنى أننا قد هزمناهم .

أضاف نائبه بابتسامة كبيرة :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكنهم أدركوا الآن أنه لا قبل لهم بمواجهة مباشرة معنا .

هتف قائده فى حماس :

ـ بالضبط .. وفى المرة القادمة ...

قاطعه (هيثم) ، فى صرامة شديدة :

لن تكون هناك مرة قادمة .

التفت إليه الاثنان فى دهشة وحيرة ..

فعلى الرغم من أنه أقل من كليهما رتبة ، إلا أن انتماءه إلى مكتب القائد الأعلى مباشرة ، جعله يمتلك سلطة خاصة ، تتجاوز فارق الرتب الرسمية ..

لذا فاعتراضه لم يكن مجرَّد عبارة نطقها ..

وإنما كان أشبه بأمر ..

أمر صادر عن القائد الأعلى نفسه ..

لذا ، فقد سأله قائد فرق الأمن فى حذر :

ـ ماذا تعنى بالضبط ؟!

أجابه (هيثم) بنفس الصرامة :

ـ أعنى أن انسحابهم لا يعنى أن الحرب قد انتهت بيننا وبينهم .

تبادل القائد ونائبه نظرة حائرة قلقة ، دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة ، فتابع هو ، وهو يتطلع إلى ما يتجاوز جدران المكان :

ـ هجومهم يمنحنا كمًّا من المعلومات ، لم نكن لنحصل عليه ، فى الظروف الاعتيادية ، فبمراجعة ما سجلته أجهزة الرصد ، ونقلته إلى الكمبيوتر ، يمكننا معرفة عددهم ، وأساليبهم ، والزوايا التى فروا إليها ، وهى تقود حتمًا إلى حيث يشعرون بالأمان .

وانعقد حاجباه ، وقسا صوته ، وهو يضيف :

ـ إلى أوكارهم .

بدت علامات الفهم على ملامح القائد ونائبه ، وهتف هذا الأخير فى حماس :

ـ وهذا يقودنا مباشرة إليهم .

أضاف القائد فى حزم :

ـ ويمكننا أن نباغتهم بهجوم ليلى ، و ...

أكمل (هيثم) ، مقاطعًا إياه ، ولهجته تحمل كل شراسة الدنيا :

ـ ونقضى عليهم جميعًا .

ران على ثلاثتهم صمت عجيب ، دام لحظات قصيرة ، بعد جملة (هيثم) الأخيرة ، قبل أن يقول هذا الأخير فى صرامة :

ـ وماذا ننتظر ؟!

تبادل القائد ونائبه نظرة صامتة قلقة أخرى ، ثم قال الأوَّل فى حذر شديد :

ـ الأوامر المباشرة .

بدا الغضب على وجه (هيثم) ، ولكن النائب أضاف فى سرعة متوترة :

ـ هجوم شامل كهذا ، يستلزم أمرًا مباشرًا .

وتردَّد لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ من القائد الأعلى نفسه .

صمت (هيثم) تمامًا ، وإن لم يستطع منع ذلك الغضب ، من أن يعربد فى أعمق أعماقه ...

إنهما على حق ..

صحيح إنه أقرب الرجال إلى القائد ، ولكن من يجرؤ على اتخاذ قرار كهذا ، وإصدار أمر مباشر به سواه ..

سوى القائد الأعلى ..

شخصيًا ..

ولكن السؤال هو : أين القائد الأعلى الآن ؟!..

أين ؟!..

* * *

« لست أدرى .. »

نطقها (طارق) فى توتر شديد ، وهو يحدِّق فى شاشة ذلك الكمبيوتر العجيب ، فى لوحة قيادة المركبة ..

كان أشبه بتلك الكرة البلّورية ، التى كان يستخدمها السحرة قديمًا ، والتى ادعوا أنهم يرون فيها المستقبل ..

أو ربما كانوا يملكون بالفعل لمحة ما ...

لمحة من ذلك المستقبل ..

أو من الماضى ..

الماضى السحيق جدًا ..

جـدًا ..

وداخل تلك الكرة البلّورية ، كانت تسبح رموز عجيبة ..

رموز لاتشبه أية رموز رياضية معروفة ..

أو أية حروف لأية لغة ..

رموز مجسَّمة ..

هولوجرامية ..

ومجهولة ..

مجهولة تمامًا ..

« كيف يدار هذا الشيء إذن ؟!.. »

ألقى (أكرم) السؤال فى عصبية ، فهزّ (طارق) رأسه فى حيرة ، وهو يجيب :

ـ ما من وسيلة أعرفها ، تصلح لهذا !!..

ثم أشار إلى تلك الكرة البلّورية ، مستطردًا :

ـ إننى حتى لا أفهم كيف أتعامل مع هذا الشيء .

مطّ (أكرم) شفتيه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أرأيت لماذا أمقت تلك التكنولوجيا ؟!.. لو أننا داخل طائرة تقليدية قديمة ، لعرفنا كيف ندبرها على الأقل .

فى نفس اللحظة التى نطقها فيها ، كانت (نشوى) تبدو أكثر حيرة ، وهى تقول :

ـ إنها حتى لا تتعامل بأسلوب الصفر والواحد .. هذا الشيء ربما لا يكون جهاز كمبيوتر ، بالمعنى الذى نعرفه .

مدّ (نور) يده ، وفرد راحته فوق الكرة ، مغمغمًا :

ـ ربما كانت نظام قيادة حيويًا أو ...

ارتجفت (سلوى) بحركة غريزية ، عندما تحرّكت تلك الرموز

الهولوجرامية العجيبة فجأة ، وكأنها تتجه كلها نحو راحة (نور) ، الذى أبعد يده بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ ربـــاه !

قال (رمزى) فى انفعال :

ـ يا إلهى !.. يبدو أنك كنت محقًا يا (نور) .

بدت (نشوى) شديدة الاهتمام ، وهى تقول :

ـ قيادة حيوية ، تستجيب لحرارة الأجساد !!.. ولِمَ لا ؟!

وضعت راحتها كلها على سطح الكرة ، فتحرّكت كل تلك الرموز الهولوجرامية نحوها ، وراحت تسبح داخل الكرة ، كما لو أنها تحوم حول الحرارة الطبيعية ، المنبعثة من راحتها ..

وفى نعومة ، راحت تحرّك راحتها على الكرة ، والرموز تستجيب لحركتها ، فى انسيابية هادئة ، فغمغمت مبهورة :

ـ أشك فى أنهم حتى فى هذا الزمن توصلوا لتكنولوجيا مدهشة كهذه !

تمتم (نور) :

ـ ولكنهم يجيدون التلاعب بالهولوجراميات على نحو كبير .

حركت رأسها نفيًا فى بطء ، وهى تقول :

ـ ليس إلى هذا الحد .

سألتها (سلوى) ، والموقف يزيد أعصابها توترًا :

ـ السؤال ليس عن روعة هذه التكنولوجيا .. السؤال الحقيقى هو : هل يمكنك استخدام هذه التكنولوجيا ، لقيادة هذه المركبة .

« كـلاَّ .. »

قالها (طارق) ، مجيبًا تساؤل (أكرم) ، الذى قال فى عصبية :

ـ هذا يعنى أن وصولنا إلى هنا لا معنى له .

التفت إليه (طارق) ، قائلاً :

ـ بل يبدو لى أنه يحمل معنى كبيرًا جدًّا .

غمغمت (مشيرة) ، فى صوت مرتجف :

ـ مثل ماذا ؟!

بدا شاردًا متوترًا ، وهو يجيبها :

ـ عرفنا أن هذه المركبات ، لا تنتمى فى الأرجح إلى عالمنا .

وصمت لحظة ، ثم التفت إليها ، مضيفًا :

ـ ولا من أعدوها لهروبهم .

مع آخر حروف كلماته ، صدرت فى المكان فرقعة مكتومة ، تموَّج على إثرها ذلك الجزء من الجدران ، قبل أن يتلاشى تمامًا ، ويظهر خلفه آخر شخص يودون رؤيته فى مثل هذه الظروف ..

القائد الأعلى ..

شخصيًّا ..

بكل صرامته ..

وغضبه ، و ...

شراسته ..

وعندما التفت إليه الجميع فى آن واحد ، لاحظوا أن عينيه تتألقان ..

ليس مجازيًّا ..

ولكن فعليًّا ..

كانت عيناه تتألقان بالفعل ، كمصباحين صغيرين ..

قويين ..

ومميتين ..

وإلى حد مرعب ..

للغاية ..

* * *

بكل الغضب الذى يعتمل فى نفسه ، ضرب الذئب سطح مكتبه ، داخل مقر قيادة قوات المقاومة ، وهو يقول فى حدة :

ـ خطأ .. ما فعلته كان أكبر خطأ يا حفيد (نور) .. لا يمكنك أن تصدر أمرًا بالانسحاب فى وجودى .

قال (محمود) الصغير فى توتر وعصبية :

ـ الرجال كانوا يسحقون بالعشرات ، تحت وطأة نيران العدو .

صرخ فيه الذئب :

ـ هذا لا يمنحك الحق .

صرخ فيه (محمود) :

ـ ومن منحك أنت الحق ؟!

امتقع وجه (طارق) ، واحتقن وجه الذئب فى غضب ، فى حين زمجر الدُب ، قائلاً فى شراسة :

ـ الذئب هو زعيم الزعماء .

غمغم (طارق) الصغير فى حذر :

ـ هذا ما أخبرونا به ، قبل أن ...

قاطعه (محمود) فى صرامة شديدة :

ـ نعم ، قبل .

ثم أدار عينيه إلى الذئب بنظرة متحدية ، مضيفًا :

ـ قبل أن تتغيَّر الظروف .

زمجر الدُب فى شراسة هذ المرة ، قائلاً :

ـ لم يتغيَّر شىء .

قال (محمود) فى تحد شديد :

ـ حقًا ؟!.. إن لم تخنى ذاكرتى ، فقد كان هناك مجلس من خمسة زعماء ، لقى ثلاثة منهم مصرعهم ، وجئنا خالى وأنا ، لنصبح زعيمين جديدين .

قال الذئب فى شراسة :

ـ أنا وضعتكما فى هذا المنصب .

أكمل (محمود) الصغير ، وكأنه لم يسمعه :

ـ ولم يسألنا أحد عمن ننتخب ؛ ليصبح زعيم الزعماء .

احتقن وجه الذئب فى شدة ، ورسم الغضب أعمق خطوطه على وجهه ، وهو يحدِّق فى وجه (محمود) الصغير مستنكرًا ، ولكن هذا الأخير لم يبال بنظراته ، وإنما مال نحوه كثيرًا ، وهو يضيف :

ـ وبالمناسبة .. الزعامة موقع ، وليست منصبًا .

حملت زمجرة الدُب كل غضبه وشراسته هذه المرة ، وهو ينتزع من

حزامه ذلك الخنجر ، المخيف الهيئة ، ولكن (محمود) بدا شديد الصلابة والصرامة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويواجهه ، قائلاً :

ـ والآن ماذا ؟! هل سنصفى حسابانتا على طريقة قُطَّاع الطرق ؟!

التقت عيناه الصارمتان بعينَي الدُّب ، فى صمت دام لحظة ، قبل أن يعيد الدُّب خنجره إلى حزامه ، مغمغمًا فى عصبية :

ـ كلاً بالطبع .. نحن زعماء ، ولسنا قُطَّاع طرق .

غمغم (طارق) ، وقد أكسبته شجاعة (محمود) قوة وثقة :

ـ صدقت .

نقل الذئب بصره إليه فى حركة حادة ، وصمت لحظات ، قبل أن يقول فى هدوء عجيب ، ينذر بالخطر :

ـ إذن فأنت تنشد انتحابًا جديدًا .

قال (محمود) الصغير فى صلابة :

ـ هذا ما نحارب من أجله .

وفى هذه المرة ، وعلى الرغم من هدوئه الظاهرى ، حملت نظرة الذئب إليه كل مقت الدنيا ..

وكل الخطر ..

الخطر بلا حدود ..

* * *

لثوان ، تجمَّد الموقف كله تمامًا ، فى قاعة مركبات الطوارئ ..

القائد الأعلى وقف جامدًا عند مدخلها ، يرمى أفراد الفريق بنظرة نارية ، وهم يتطلَّعون إليه فى صمت ..

صمت رهيب ..

ثقيل ..

مخيف ..

صمت قطعه القائد الأعلى ، وهو يقول فى صرامة وحشية :

ـ تصوَّرتم أن الفرار من هنا هيِّن ؟!

لم يدر أحدهم ما إذا كان ذلك الرنين ، الذى اتسم به صوته ، قد نشأ من فراغ القاعة ، أم من حنجرته نفسها ..

ولكنه بدا كرنين عجيب للغاية ..

رنين معدنى ..

وعلى الرغم من أن القائد الأعلى قد قطع حبل الصمت بقوله هذا ، فقد استمر الصمت لحظات ، واستمر تحديق أفراد الفريق فيه لثوان إضافية ، قبل أن يغادر (نور) المركبة ، ويقف فى مواجهته ، ويشدّ قامته ، قائلاً :

ـ من أنت ؟!.. وماذا يحدث هنا بالضبط ؟!

أجابه الرجل فى غضب صارم ، وقد تلاشى ذلك الرنين العجيب من صوته :

ـ أنا قائدك الأعلى ، الذى ينبغى أن تطيع أوامره دون مناقشة ، كما تدرَّبت منذ البداية .

قال (نور) فى صرامة :

ـ عمليًّا لست قائدى الأعلى الآن ، ما دمتم تقولون إننى لم أعد أنتمى إلى المخابرات الجديدة ، وهذا ينطبق بالتبعية على فريقى أيضًا .

غادر (أكرم) مركبته بدوره ، ووقف فى وجه القائد الأعلى ، إلى جوار (نور) ، وهو يقول فى صرامة ، امتزجت بعصبيته المعتادة :

ـ نعم ، هذا ينطبق علينا جميعًا .

وتبعه (طارق) ، ليقف إلى جوارهما ، وهو يضيف :

ـ وفى الوقت الحالى ، وبناءً على قراركم ، صار هذا ينطبق علىَّ أيضًا .

نقل القائد الأعلى بصره بين ثلاثتهم فى بطء ، قبل أن يقول فى صرامة وحشية ، اتسمت بالثقة والسخرية :

ـ وهل تتصوَّرون أن ثلاثتكم قادرون على مواجهتى وحدكم ؟!

غادر الجميع المركبتين ، ووقفوا مع (نور) و(أكرم) و(طارق) صفًّا واحدًا ، فى مواجهة القائد الأعلى ، و(سلوى) تقول :

ـ ليس ثلاثتهم ، بل كلنا .

كان مشهدًا يستحق التسجيل بحق ..

الجميع يقفون صفًّا واحدًا ، فى مواجهة القائد الأعلى ، الذى عقد ذراعيه أمام صدره ، قائلاً فى شراسة عجيبة :

ـ كلكم .

قال (رمزى) فى صرامة :

ـ نعم ، كلنا .

وأضافت (نشوى) فى شىء من الحدة :

ـ ثم إنك لست القائد الأعلى حتمًا .

انعقد حاجباه فى شدة ، عندما سمع قول (نشوى) هذا ، ورمقها بنظرة أشبه بنيران الجحيم ..

بل إن (أكرم) كاد يقسم بأنه قد لمح فى عينيه وهج نيران .. نيران حقيقية ..

وربما لمحها (نور) أيضًا ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى القائد الأعلى بنظرة عجيبة ، فى حين قال هذا الأخير فى لهجة ، بدت للجميع شديدة الوحشية :

ـ لست القائد الأعلى ؟!.. أى قول أحمق هذا ؟!..

إننى الرائد (أيمن) ، كما عرفنى والدك قديمًا ، و ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ كلاَّ .. لست هو ..

أدار القائد الأعلى عينيه إليه فى حركة حـادة وحشية ، ولكنـه أكمل بنفس اللهجة ، ونفس الصرامة :

ـ (أيمن) المسكين لقى مصرعه ، وتمزَّق إربًا ، فـى مغـامرة سابقة فى زمننا(*) .

قال القائد الأعلى فى بطء :

ـ هذا صحيح .

نظر إليه الكل فى دهشة ، فتابع فى صرامة شديدة :

ـ (أيمن) الذى تعرفونه لقى مصرعه بالفعل ، وتمزَّق إربًـا كمـا تذكرون ، ولكن بقايا حمضه النووى صنعت من ترونه أمامكم الآن .

وشدَّ قامته ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، مستطردًا :

ـ النسخة الجينية المحسَّنة من الرائد (أيمن) .

كان من الممكن أن يحمل كلامه لمحة من الصدق ، ولكن (نور) قال فى نفس الصرامة :

(*) راجع قصة (سادة الكون) .. المغارة رقم (134) .

ـ زمنيًا ، يبدو هذا مستحيلاً ؛ فعنـدما غادرنا زمننـا ، لم يكن استنساخ الرائد (أيمن) قد بدأ بعد ، وحتى لو افترضنا أنه قد بـدأ فور غيابنا ، فالمفترض أن تكون نسخته فى الثلاثينات الآن ، وليس كما تبدو عليه أنت :

ابتسم القائد الأعلى ، فى شىء من الشراسة ، وهو يقول :

ـ التكنولوجيا تطوَّرت كثيرًا منذ غيابكم يا (نـور) ، وما كـان يبدو مستحيلاً فى زمنكم ، صار أمرًا عاديًا بسيطًا ، بعد غيـابكم بسنوات قليلة .

اندفعت (نشوى) ، قائلة فى حدة :

ـ وماذا عن أجهزة كمبيوتر المركبات ؟!

أدار القائد الأعلى عينيه إليها فى حدة ، فأضافت فـى عصبيـة ، وهى تبعد بصرها عن عينيه الناريتين :

ـ إنها ليست أرضية على الإطلاق .

قال فى حدة وصرامة وسرعة :

ـ ومن أدراك ؟!

قالت فى عصبية أكثر :

ـ إنها لا تخضع لأية ...

قاطعها فى شراسة :

ـ لأية تكنولوجيا تعرفينها ، أو عرفتها فى زمنك .. أليس كذلك ؟!

قال (طارق) فى حدة :

ـ ولا ما نعرفه فى زمننا نحن .

التفت إليه فى صرامة :

ـ وما يتاح للقادة ، لا يتاح لغيرهم .

غمغم (أكرم) فى ازدراء :

ـ مبدأ ديكتاتورى بغيض .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول له فى شراسة مستنكرة :

ـ ديكتاتورى ؟!

ثم شدّ قامته ، وأطلّ من عينيه لهب حقيقى ، وهو يضيف :

ـ ولكن لماذا أضيع الوقت فى محاولة إقناعكم ..

واكتسب صوته وحشية رهيبة ، مع إضافته :

ـ الأيسر هو ... إبادتكم .

قالها وجسده يتألّق ..

ويتألّق ..

ويتألّق ..

على نحو رهيب ..

7 ـ القـائد ..

فى حياته كلها لم يشاهد الدُّب صديقه الذئب غاضبًا ثائرًا ، مثلما شاهده فى تلك اللحظة ، داخل مقر قيادة المقاومة ، بعد انصراف (محمود) و(طارق) الصغيرين ..

كان محتقن الوجه ، معقود الحاجبين ، زائغ البصر ، يدور فى أرجاء المكان فى عصبية ، كما لو كان ذئبًا حقيقيًّا ، داخل قفص من أقفاص الأسر .. ولم يكن ينطق بحرف واحد ..

أو حتى يلتفت إليه ..

ولقد احترم هو صمته وتوتره ، فلاذ بالصمت بدوره طويلاً ، حتى لم يعد يحتمل ، فغمغم فى حذر :

ـ سيتراجع عن قوله هذا حتمًا .

توقَّف الذئب دفعة واحدة ، والتفت إليه قائلاً فى عصبية :

ـ ليس مجرَّد قول .. إنه موقف .

تصوَّر الدُّب أنه قد أخطأ التعبير فحسب ، فتمتم مرتبكًا :

ـ سيتراجع عن موقفه .

قال الذئب فى مقت :

ـ لا ، لن يفعل .

لم يجد الدُّب ما يقوله ، فاكتفى بهز رأسه ، وواصل متابعة الذئب ببصره ، وهذا الأخير يواصل فى عصبية :

ـ لقد أخرجت هذين الخاملين من جحريهما ، وصنعت منهما زعيمين وهميين ، ولكنهما صدقا نفسهما ، وسال لعابهما للقيادة الحقيقية ، ويطمحان الآن ، وبعد أقل من يومين ، لقيادة النظام كله .. يا للحماقة !

غمغم الدُّب فى حذر :

ـ الثعلب طلب إجراء انتخاب حر فحسب .

أطلق الذئب ضحكة ساخرة عصبية ، وهو يقول :

ـ الثعلب ؟!.. يا للسخافة !.. عندما وضعتهما فى منصبيهما ، أطلقت عليهما اسمى الثعلب والحرباء ، ولم أتصوَّر لحظتها كم ستناسبهما التسميتين !

غمغم الدُّب فى حذر أكثر :

ـ ولكن (طارق) ليس ...

قاطعه الذئب فى حدة :

ـ (طارق) حرباء حقيقية ... هل صدَّقت ما يتظاهر به من الطيبة وهدوء النفس .. إنها مؤامرة .

تراجع الدُّب فى دهشة ، قائلاً :

ـ مؤامرة ؟!

أجابه بنفس الحدة :

ـ نعم ، مؤامرة .. مؤامرة حقيرة اشتركا فيها معًا ؛ للسيطرة على قيادة المقاومة .

بدتِ دهشة مستنكرة على وجه الدُّب ، ولكن الذئب تابع فى عصبية :

ـ إنها لعبة شهيرة فى عالم الأمن .. لعبة اسمها (الطيب والشرس) ، يلعبها رجلا أمن دومًا ، أحدهما يبدو شديد الشراسة ، بحيث يثير فزع المُستجوَب ، ثم يأتى الثانى فى صورة الشخص المتعاطف المشفق المتفهم ، بحيث توليه الضحية ثقتها ، وتتجه إليه بكل لهفتها ، وتجد فيه الأمان والخلاص ، فتفضى إليه بكل ما لديها .. لعبة قديمة ، يلعبانها معنا باقتدار ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ وباحتراف .

أراد الدُّب أن يعترض ، وأن يخبر الذئب أنه من المستحيل أن يكون الأمر كذلك ؛ لأن (محمود) و(طارق) الصغيرين لم يختبرا

هذا النوع من الصراعات قط ، ولكن الذئب بدا له شديد العصبية ، حتى إنه لم يشأ أن يتورَّط فى جدال ما معه ، فى تلك اللحظة ، فآثر الصمت تمامًا ، خاصة وأن الذئب قد توقَّف لحظات مفكرًا ، ووجهه ما زال محتقنًا ، قبل أن يستدير إليه ، قائلاً :

ـ لا ينبغى أن يُقاوم هذا الانتخاب أبدًا .

قال الدُّب فى خفوت :

ـ ولكنك زعيم الزعماء ، وكل رجال المقاومة يعرفونك ، ويثقون بك ، و ...

قاطعه الذئب فى حدة :

ـ وهما من نسل الأسطورة .

وصمت لحظات ، عضّ فيها شفته السفلى فى غيظ ، قبل أن يكمل فى حدة :

ـ من نسل (نور الدين) .

عاد الدُّب يكرِّر فى توتر :

ـ ولكنك ...

قاطعه الذئب مرة أخرى فى حدة أكثر :

ـ ليس الآن .

ثم عاد يتحرَّك ، وهو يلوِّح بيده فى عصبية :

ـ هل تظنهما قد اختارا هذا التوقيت عشوائيًا ؟!.. هل تظنهما طالبا بإجراء الانتخاب عقب هزيمتنا ، عند أسوار مقر المخابرات اعتباطًا ؟!.. كلا يا صديقى .. كلا ..

واستدار إليه فى عصبية شديدة ، ولوَّح بيده فى وجهه ، مستطردًا :

ـ لقد منينا بهزيمة ساحقة عند الأسوار ، راح ضحيتها مئات من رجال المقاومة ، وفشلت خطتى هناك فشلاً ذريعًا ، ثم كان أمر الثعلب بالانسحاب ؛ لينقذ حياة من تبقى ، فمن تظنهم يختارون للزعامة ، بعد موقف كهذا ، خاصة ولو كان المرشَّح الآخر هو حفيد الأسطورة ؟!

امتقع وجه الدُّب ، وهو يغمغم مذعورًا :

ـ رباه !.. أهذا ممكن ؟!..

أجابه الذئب فى حدة :

ـ بالطبع .

وصمت لحظة ، قبل أن يقول ، فى لهجة ذات مغزى خاص :

ـ إلا إذا ..

لم يكمل عبارته ، ولكن الدُّب رفع عينيه إليه فى ذعر ..

والتفت هو إليه ..

والتقت عيونهما ..

وشعر الدُّب بذعر أكبر ..

فما تحمله عينا الذئب كان خطيرًا ..

ومخيفًا ..

ومفزعًا ..

للغـاية ..

* * *

« مـدهش !!.. »

غمغم الدكتور (راشد) بالعبارة فى حيرة ، وهو يحدّق فـى جسد (محمود) ، المسجى داخل صندوق زجاجى كبير ، يتصل بعشرات الأسلاك ، وتتراص حوله أقراص صغيرة ، ذات ألوان مختلفـة ، تتصل كلها بكمبيوتر الأمن الرئيسى ..

لم يكن يبدو كشخص فاقد الوعى ، وإنما كان أشبه بتمثال ..

تمثـال مـن مـادة أشبه مـا يكـون بالبشـر ، حتـى إن الدكتـور (راشد) راح يتأمّله لحظات مشفقًا ، قبل أن يغمغم :

ـ الأوامر أن نحيطه بمجال من الطاقة ، يسلبه قدرته على الحركة والتفكير ، لحين صدور أوامر أخرى .

بدت الدهشة على وجه العلماء ، وغمغم أحدهم فى توتر :

ـ ولكننا كنا نسعى منذ البداية لإنعاشه ، و ...

قاطعه الدكتور (راشد) ، فى توتر شديد :

ـ سننفذ الأوامر دون مناقشة .

رفع أحدهم سبَّابته ، قائلاً :

ـ السؤال هو : هل سيمكننا تنفيذها ؟!

التفت إليه الدكتور (راشد) فى قلق شديد ، متسائلاً :

ـ ماذا تعنى يا رجل ؟!

أجابه فى اهتمام قلق :

ـ أعنى أن كل ما تعرفه ، عن أقفاص الطاقة وقدرتها ، يرتبط بتأثيرها على البشر فحسب ، ولكننا لا ندرى شيئًا عمـا يمكن أن تفعله بذلك (الزوريوم) الحيوى !

امتقع وجه الدكتور (راشد) ، وهو يحدّق فيه بذعر حقيقى ..

نعم ، لا أحد يدرى ماذا يمكن أن يحدث ، لو تم إحاطـة نسخة (الزوريوم) الحيوى بغلاف من الطاقة ..

إنهم حتى لا يعرفون كافة سمات ذلك (الزوريوم) ، الذى ما زال يفاجئهم كل يوم بجديد ..

إنه لم ينبس بعد ما باغته به (محمود) من قدرات مدهشة ، لم يكن يملك عشرة فى المائة منها ، وربما أقل ، عندما كان بشريًا ..

ذلك (الزوريوم) الحيوى منحه تلك الطاقة إذن ..

بل وربما كان يسيطر حتى على الجزء البشرى منه ..

ربما ..

من يدرى ؟!..

ومن يدرى أيضًا ماذا يمكن أن يحدث ، لو أحاطوا ذلك (الزوريوم) الحيوى بالطاقة ؟!..

ماذا ؟!..

« هذا احتمال مخيف .. »

قالها عالم آخر فى قلق شديد ، فتطلّع إليه الدكتور (راشد) بنفس الذعر ، فى حين قال ثالث :

ـ لابد من دراسة الأمر ، قبل أن نستخدم قفص الطاقة .

تساءل رابع ، فى قلق شديد :

ـ ولكن ماذا لو استعاد هو وعيه ، قبل أن نحيطه به ؟!

قال الدكتور (راشد) فى عصبية :

ـ هذا مستحيل !..

ثم انخفض صوته ، وهو يحدّق فى (محمود) فى عصبية ، مردفًا :

ـ إنه ليس بشريًا .

صمت العلماء لحظة ، ثم تساءل أحدهم :

ـ ماذا تقترح إذن ؟!

بدا الدكتور (راشد) حائرًا بشدة ، وهو يقول :

ـ لست أدرى .

قال عالم آخر فى توتر :

ـ ولكنك تعلم عقوبة مخالفة أوامر القائد الأعلى .

بدا الدكتور (راشد) أكثر حيرة وتوترًا ، وهو يقول :

ـ ولكن ..

لم يستطع إكمال عبارته ، ولكن أحد العلماء قال فى عصبية :

ـ بالنسبة لى ، سأنفذ الأوامر ، أيًا كانت النتائج .

قال آخر فى سرعة ، وكأنما كان ينتظر مبادرة زميله :

ـ وأنا أيضًا .

نقل الدكتور (راشد) بصره ، بينهم وبين جسد (محمود) ، المسجى داخل القفص الزجاجى ، مغمغمًا :

ـ لست أدرى ما ...

لم يكمل عبارته ، وهو يتطلَّع إلى وجوههم ، فقال أحدهم فى عزم :

ـ سأعد قفص الطاقة .

وبدون تبادل كلمة واحدة ، بدءوا عملهم ؛ لتنفيذ أوامر القائد الأعلى ..

ولم تمض دقائق ثلاث ، حتى كانت الأجهزة معدَّة للعمل ، وأحد العلماء يسأل :

ـ أوامرك يا دكتور (راشد) .

صمت الدكتور (راشد) لحظات ، ثم قال فى حزم :

ـ على بركة اللّه .

ضغط أحد العلماء مفتاح التشغيل ..

وانطلقت الطاقة الرهيبة تحيط بذلك القفص الزجاجى ..

وبقى السؤال ..

ترى كيف سيتفاعل معها ذلك الزوريوم الحيوى ؟!..

كيف ؟!..

* * *

على نحو مخيف ، ارتفعت حرارة تلك القاعة الصغيرة فى شدة ، مع تألُّق جسد القائد الأعلى ..

ارتفعت فى سرعة ، حتى شعر الجميع وكأن أجسادهم ستحترق ..

فى غضب ، دفع (أكرم) زوجته خلفه ، وكأنما يحاول حمايتها من الحرارة الشديدة ، وهو يهتف فى القائد الأعلى :

ـ أيها الوغد .

ومع هتافه ، اندفع نحوه ..

وانقض عليه ..

ولكن المدهش أن القائد الأعلى لم يحرِّك ساكنًا ..

لقد بقى فى مكانه قويًّا صلبًا متماسكًا ، يتطلَّع إلى (أكرم) فى لا مبالاة ، وهذا الأخير ينقض عليه بمنتهى العنف ..

وشهقت (مشيرة) ، مع ذعرها على زوجها ، و ...

وتفجَّرت الدهشة فى وجوه الجميع دفعة واحدة ..

ليس فى وجوههم فحسب ، بل وفى كياناتهم كلها ..

فأمام أعينهم جميعًا ، ارتطم (أكرم) بجسد القائد الأعلى بمنتهى العنف ، ثم ارتدّ عنه فى عنف أكبر ، وكأنه كرة من المطاط ، اصطدمت بجدار من الصلب ، حتى إن جسده قطع ما يقرب من ثلاثة أمتار ، قبل أن يسقط عند قدمى (مشيرة) ، التى هتفت وهى تهرع إليه :

- (أكرم) .. حبيبى .

شعر الجميع بتوتر شديد ، إزاء ما حدث ، ولكن (طارق) سحب ذلك المسدس ، الذى استولى عليه من رجال الأمن ، الذين اشتبك معهم من قبل ، وبلا ذرة واحدة من التردُّد ، أطلقه ..

نحو القائد الأعلى تمامًا ..

وفى عنف ، ارتطمت الموجات الترددية القوية بجسد القائد الأعلى ..

وكما حدث مع (أكرم) ، ارتدّت عنه بكل العنف ..

وأصابت الجميع ..

وكلهم شعروا وكأن موجة هائلة قد ضربت أجسادهم ، واقتلعتها من مكانها ، وألقت بها إلى الخلف ؛ ليرتطم بعضهم بالمركبتين ، ويرتطم البعض الآخر بالجدار ، ثم يسقطون جميعًا أرضًا ..

وبكل آلامها وذعرها ، هتفت (مشيرة) :

- كنت على حق يا (نشوى) .. إنه ليس بشريًا .

وقال (أكرم) فى عصبية :

- أراهن أنه كائن فضائى آخر .

ولم يعلِّق (نور) بحرف واحد ، فى حين قلب القائد الأعلى شفتيه فى امتعاض ، وهو يقول :

- يا للسخافة !

ثم أشار إليهم بسبَّابته فى غضب ، مستطردًا :

- مثل كل البلهاء .. كلما واجهتم ما لا تفهمونه ، شخصتم بأبصاركم إلى الفضاء الخارجى ، ونسيتم أنكم تعيشون فى عالم هائل ، لم تسبروا كل أغواره بعد .

كانت الحرارة تزداد ارتفاعًا ، على نحو مخيف ، وجسد القائد الأعلى يتألَّق على نحو رهيب ، ولكن هذا لم يمنع (نور) من ملاحظة كل ما حوله ..

المركبات كانت صامدة فى موضعها ، وتلك الحرارة لا تنعكس حتى على جدرانها ..

والجميع من حوله يتألمون ..

وبشدة ..

زوجته ..

وابنته ..

وحفيده ..

و(أكـرم) ..

و(مشيرة) ..

وكان وجه (أكرم) محتقنًا بشدة ..

ولكنه جاف تمامًا ..

لم تكن عليه قطرة واحدة من العرق ..

ربما بفعل الحرارة الرهيبة ، و ...

« وهـم .. »

هتف (نور) بالكلمة فجأة ، فبدت للجميع بلا أى معنى ، مع آلامهم ، وشعور بالاحتراق فى أجسادهم ، ولكنهم فوجئوا به ينهض فجأة ، ويقف فى ثبات ، فى مواجهة القائد الأعلى ، قائلاً بكل الصرامة :

ـ كل هذا مجرَّد وهم .

لم يعلِّق القائد الأعلى ، بحرف واحد ، ولكن (نور) تابع بمنتهى الصرامة ، وهو يقف متحديًا ، فى ثبات مدهش :

ـ ما نشعر به ليس حرارة حقيقية .. إنه مجرَّد وهم .. قدرة مدهشة فائقة على إيهام أجسادنا بشعور ما .. عقولنا تمت السيطرة عليها

انفعاليًا ، وأقنعت أجسادنا بأنها تحترق ، ولكن هذا غير صحيح .

مرة أخرى ، لم يعلِّق القـائد الأعلى بحرف واحد ، ولكن (نـور) استدار إلى رفاقه ، مستطردًا :

ـ كلنا نرى جسده يتألَّق ، ونشعر بالحرارة الرهيبة ، ولكن جدران القائمة لا تعكـس تلـك الحـرارة ، كمـا ينبغى أن تفعل ، وجدران المركبات ، على الرغم من التماعها ، لا تعكس ذلك التألق فى جسده .

حدَّق فيه الجميع فى حيرة شديدة التوتر ، ونقلوا أبصارهم منـه إلى القائد الأعلى ، الذى ما زال جسده يتألَّق فى شدة ، ولكن (نور) تابع فى صرامة وحزم :

ـ انظروا إلىَّ .. إننى لا أعانى ما تعانونه .. فقط أدركت ما يحدث ، واقتنعت به ، فزالت تلك السيطرة عن عقلى ، وتحرر معها جسدى ، فلم أعد أشعر بشىء .

ثم عاد يلتفت إلى القائد الأعلى ، ويشير إليه بسبَّابته ، مضيفًا فى صرامة وحزم أكثر شدة :

ـ لم أعد حتى أرى جسده لامعًا .

كان ما يقوله يتعارض تمامًا مع ما يرونه ويشعرون به ..

ولكنها كانت مسألة ثقة ..

ثقتهم فيه ..

وفى استنتاجه ..

وفيما يقوله ..

ثقة كان ينبغى أن تتجاوز حدود بصرهم ..

وشعورهم ..

وآلامهم ..

ولكن (نشوى) كانت أوّل من منحه ثقته ..

كانت تثق فى والدها دومًا ثقة عمياء ..

ثقة جعلتها تحدّق مرة أخرى فى القائد الأعلى ، ثم تكتسى ملامحها بدهشة شديدة ، وهى تقول :

ـ رباه !.. هذا صحيح .

قالتها ، ونهضت تقف إلى جوار (نور) ، وتتعلّق بذراعه ، وتبعها (طارق) ، وهو يحدّق فى القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ مستحيل !

وفى لحظة واحدة ، انجلت الحقيقة أمام عيون الجميع ..

فجأة وجدوا أنفسهم يحدقون فى القائد الأعلى ، الذى يقف معقود الذراعين ..

ولكن من دون جسد متألق ..

أو حرارة شديدة تحيط بهم ..

أو حتى ذلك الوهج المطل من عينيه ..

فقط كان ينظر إليهم بتلك النظرة العجيبة ..

النظرة التى واجهها (رمزى) ، قائلاً :

ـ رباه !.. عيناه .

غمغم (نور) فى ارتياح ، وقد أدرك أنهم قد استوعبوا الأمر :

ـ نعم ، عيناه .

وهنا .. هنا فقط حلّ القائد الأعلى رباط ساعديه ، وقال فى لهجة قاسية :

ـ لعبة ذكية يا (نور) .. كان ينبغى أن ندرك أن تاريخك لم يكن مجرّد أسطورة .

سأله (نور) فى صرامة :

ـ من أنتم ؟!.. ومن قصدت بصفة الجميع فى حديثك ؟!

تجاهل القائد الأعلى سؤاليه ، وهو يدير عينيه فى وجوههم جميعًا ، قائلاً :

ـ تتصوّرون إذن أنكم قد ربحتم اللعبة ؛ لمجرّد خروجكم من نطاق سيطرتى .

سألته (سلوى) ، ولم يفارقها توترها بعد :

ـ من أين امتلكت هذه القدرة ؟!

التفت إليها ، قائلاً بنفس اللهجة القاسية :

ـ أنتم صم أم ماذا ؟!.. سبق وأن أخبرتكم أننى النسخة الجينية المعدّلة من ذلك الأحمق ، الذى كنتم تعرفونه فى زمنكم .

قالت (نشوى) فى انفعال :

ـ وهل تتوقّع أن نصدقك ؟!

أطلق ضحكة ساخرة وحشية عجيبة ..

ضحكة لها نفس ذلك الرنين العجيب ..

الرنين غير البشرى ..

أطلقها على نحو ارتجفت له أجساد معظمهم ، قبل أن يقول :

ـ ما زلتم عاجزين بالفعل عن استيعاب هذا العصر .

ثم تحرّك فى بطء ، مستطردًا :

ـ الهندسة الجينية كانت لعبة تسعينات القرن العشرين ، وأعجوبة العقد الأوّل من القرن الحادى والعشرين ، ولكن أحدًا لم يدرك قوتها الحقيقية ، إلا مع نهاية العقد الثالث من القرن .

تبادل أفراد الفريق نظرة صامتة قلقة ، باستثناء (نور) ، الذى عقد ساعديه أمام صدره ، وواصل النظر إلى القائد الأعلى فى تحدٍّ ، وذلك الأخير يواصل ، وكأنما يستمتع برواية ما لديه :

ـ فجأة كشف العلماء أنهم لا يستطيعون غرس ما يريدون من صفات فى أى كائن فحسب ، بل وتقويتها بلا حدود أيضًا .

والتمعت عيناه ، وهو يضيف :

ـ ولم يترددوا .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يتطلّع إليه فى شك ، فى حين استطرد هو ، مع التماعة عينيه :

ـ فى البداية حاولت السلطات منع العبث بتلك التكنولوجيا الهائلة ، التى امتزجت بتكنولوجيا النمو الفائق ، لتجعل عملية الاستنساخ التلقائية أشبه بآلات النسخ القديمة .. تحصل على عينة دقيقة من أى كائن ، تحوى بصمته الجينية ، وتستخدم النواقل التليسكوبية الإليكترونية ؛ لتطوير وتحوير الضفيرة الجينية ، ثم تضع النتائج فى قلب بويضة بشرية ، وتستخدم تكنولوجيا النمو الفائق ، لتنتج كائنًا متطوّرًا ، خلال ثلاثة أيام فحسب .

وتألّقت عيناه أكثر وهو يتوقف ، ويلتفت مرة أخرى إليهم ، قائلاً :

ـ من الصعب عليكم استيعاب هذا بعلوم زمنكم .. أليس كذلك ؟!

شد (نور) قامته ، وهو يقول :

ـ ربما يمكننا استيعاب ما هو أعقد من هذا .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى صرامة :

ـ لو أنه يتفق مع ما يحيط به .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى غضب ، وهو يرمقه بنظرة نارية ، ولكن (نور) تابع فى صرامة أكثر :

ـ أو يتفق حتى مع آلات تلك المركبات ، التى لا تشبه حتى تكنولوجيا إدارة المخابرات التكنورقمية .

وضاقت عيناه من شدة صرامته ، وهو يضيف :

ـ وكلانا يعلم أن قاعدة الأمن الأولى هى أن يسبق بتكنولوجيته كل ما عداه ، بخطوتين على الأقل .

ابتسم القائد الأعلى فى سخرية ، قائلاً :

ـ كانت هذه هى القواعد فى زمنكم .

ثم مال نحوهم ، مضيفًا فى شراسة :

ـ أما فى هذا الزمن ، فتكنولوجيا القيادة وحدها تفوق ما عداها ، بخطوتين على الأقل .

تمتم (أكرم) ، فى دهشة مستنكرة :

ـ تكنولوجيا القيادة .

شدَّ القائد الأعلى قامته ، قائلاً فى صرامة :

ـ القادة لهم الحق الأوّل فى النجاة ، إذا ما صار الخطر حتميًا .

نطقها فى آلية عجيبة ، كما لو أنه يردّد نصًا محفوظًا ، فتطلّع الجميع إليه فى دهشة حائرة حذرة ، فى حين تساءل (رمزى) فى توتر :

ـ ولكنك قائد واحد هنا ، وهناك ثلاث مركبات نجاة ؟

تمتم (طارق) ، وهو يعقد حاجبيه فى توتر :

ـ هذا صحيح .. لماذا ثلاثة ؟

وقال (أكرم) متحفزًا :

ـ سؤال منطقى .

وعاد (نور) يعقد ساعديه ، قائلاً :

ـ ويحتاج إلى جواب منطقى .

صمت القائد الأعلى تمامًا ، وهو يدير عينيه فى وجوههم ، قبل أن يبتسم ابتسامة مخيفة ، قائلاً :

ـ بارعون بحق .

أشار (نور) إلى رفاقه ، قائلاً فى حزم :

ـ ولم يعد الوهم البصرى الحسى قادرًا على خداعهم .

مع إشارة (نور) ، تحرّك الجميع ..

فيما عدا (طارق) و(مشيرة) ..

تحرّك أعضاء الفريق الأساسى ، يلتفون فى نصف دائرة ، وكأنهم ينفذون خطة متفق عليها ..

خطة حصار ..

وفى لحظة واحدة ، فهم (طارق) ، وفهمت (مشيرة) ما يفعلونه ، فتراجعت الثانية خطوتين ، فى حين تقدَّم الأوّل عدة خطوات ؛ لينضم إلى الفريق فى حركته لحصار القائد الأعلى ..

أما القائد الأعلى نفسه ، فقد وقف هادئًا ، وكأنما لا يخشاهم مجتمعين ، وبدا شديد الهدوء والصرامة ، وهو يقول لـ (طارق) :

ـ إذن فقد حسمت اختيارك .

أجابه (طارق) فى صرامة مماثلة :

ـ لقد حسمته منذ اللحظة الأولى .

ثم أضاف ، فى لهجة ملؤها الحسم :

ـ إنهم عائلتى .

قال القائد الأعلى فى سخرية مستنكرة :

ـ عائلتك ؟!

ثم قسا صوته واشتعل رنينه ، وهو يضيف :

ـ فلتشاركهم مصيرهم إذن .

قالها وهو يحل ساعديه ، ويرفع راحتيه إلى سقف القاعة الصغيرة ، ثم يفرد راحتيه إلى أعلى ، مكملاً فى قسوة :

ـ وهو ليس وهمًا هذه المرة .

توقف الجميع دفعة واحدة بحركة غريزية ، ورفعوا رءوسهم إلى السقف ، وقلوبهم تخفق فى عنف ، مع سؤال اشتعل فى أعماقهم ..

أى خطر ينتظرهم هذه المرة ؟!

أى خطر ؟!

وفى بطء ، راح سقف القاعة يتموّج ..

ويتموّج ..

ثم بدا وكأن جزءًا منه قد تلاشى تمامًا ؛ ليظهر من خلفه ذلك المشهد الرهيب ..

مشهد أشبه بحمم بركان ، تسيل من أعلى إلى أسفل ..

وتساقطت قطرات من تلك الحمم ، على بعد خطوات قليلة منهم ، واقترن سقوطها بصوت أشبه بفحيح أفعى عملاقة ..

وتصاعد دخان قوى ، من موضع السقوط ..

« يا إلهى !.. إنها تذيب أرضية القاعة » ..

هتفت (مشيرة) بالعبارة فى رعب هائل ، فتألّقت عينا القائد الأعلى وهو يقول :

ـ تمامًا كما ستذيب أجسادكم .

وانطلقت من حلقه تلك الصرخة المخيفة ..

صرخة أشبه برنين ألف جرس ، من الزجاج البلّورى ..

وخفقت قلوبهم فى عنف أكبر ..

ثم دوت فرقعة قوية ..

فرقعة رهيبة ، تردَّد صداها فى كل ركن ، من مقر القيادة ..

فى كل ركن .. بلا استثناء ..

* * *

8 ـ فـــرار..

كالذئب الجريح ، راح زعيم المقاومة يتحرّك فى عصبية ، داخل مقر القيادة ، وهو يعبث فى الأجهزة الإلكترونية المتناثرة فيه هنا وهناك ، دون أى هدف واضح ، قبل أن يتوقّف دفعة واحدة ، هاتفًا :

ـ لماذا تأخر الدُّب ؟!

كان ينتظر عودة الدُّب بفارغ الصبر ؛ ربما لأنه يعلم أن مصيره ومستقبله يعتمدان على عودته ..

وعلى ما سيحمله له من نتائج ..

ففى موقف كهذا ، كان يدرك ، بطبيعته كذئب قديم ، أنه لا مفر من المواجهة المباشرة ..

إنه مهدَّد بفقدان مكانته إلى الأبد ..

فقدان قيادته ..

وزعامته ..

وسطوته ..

وسلطاته ..

عاود حركته داخل المقر ، وقد انعقد حاجباه فى شدة ، وقد حدثت المواجهة فعليًا ..

المواجهة بينه وبين نفسه ..

لقد وجد نفسه ، دون أن يدرى ، يعترف بالحقيقة ..

حقيقة أنه لا يفعل كل ما يفعله من أجل مصر ..

ولا من أجل الحق والعدالة ..

أو من أجل الحرية ..

ولا حتى من أجل رجال المقاومة ..

إنه يفعل كل هذا من أجل مقعد السلطة ..

سطوة الزعامة ..

نفوذ القيادة ..

من أجل نفسه ..

هذا هو الواقع ، الذى لا بد وأن يعترف به ..

وفى أعماقه ، ما زال يصرّ على أنه أفضل من يصلح للقيادة ..

إنه يقاتل منذ بدأ هذا الأمر ..

منذ أن ...

توقّف فجأة ، وانعقد حاجباه فى شدة وحيرة ، وهو يشعر بارتباك حقيقى ، لم يشعر بمثله من قبل قط ..

كيف لم ينتبه إلى هذا أبدًا ؟!

كيف لم ينتبه إلى أنه لا يذكر كيف بدأ كل هذا ؟!..

حاول أن يعتصر ذهنه ، ويعود بذاكرته إلى الوراء ؛ ليذكر متى تولّى زعامة قيادات المقاومة ..

ولكنه لم يفلح أبدًا ..

كان يبلغ بذاكرته دومًا لحظة اختيار القادة الآخرين له ، وفوزه بزعامة الزعماء ..

أما لو حاول أن يغوص إلى ما هو أبعد ، فكل شىء يتحوّل إلى صفحة بيضاء ساطعة ..

صفحة لا تحوى أى شىء ..

أى شىء على الإطلاق ..

وهذا أمر عجيب ..

عجيب إلى أقصى حد ..

كل مخلوق ، مهما ضعفت ذاكرته ، لا بد أن يتبقى لديه شىء ما ..

أى شىء ..

ولكن ذاكرته هو لا تحوى أى شىء ، عند نقطة بعينها ..

لا يذكر حتى طفولته ..

أو نشـأته ..

أو حتى بداية ذلك الموقف الرهيب ..

فقط لحظة اختياره ..

ثم لا شىء ..

وبمنتهى الدهشة والحيرة والارتباك ، وقف فى منتصف مقر القيادة يعتصر ذهنه ..

ويعتصره ..

ويعتصره ..

ولكن لا شىء على الإطلاق ..

لا شىء إلى حد مثير للحيرة ..

والشـــك ..

والقلـــق ..

بلا حدود ..

فى نفس اللحظة ، التى بلغت فيها انفعالاته ذروتها ، كان الدُب يتسلل بين الأطلال فى حذر ، محاولاً الوصول إلى مكان لم يذهب إليه من قبل ..

إلى منزل (محمود) الصغير ..

كان الذئب قد أسند إليه مهمة محدودة ، عليه أن يؤديها بنجاح ، كما فعل أكثر من مرة قديمًا ..

مهمة إنقاذ مستقبل (مصر) ..

مهمة الحفاظ على وحدة الصف ..

ولمّ شمل المقاومة ..

هكذا أخبره الذئب ..

ولهذا اختاره ..

توقَّف الدُب خلف أطلال قديمـة ، تطلّ على منزل (محمود) الصغير ، واختفى هناك فى حذر ، وهو يختلس النظر إلى المنزل البسيط فى دهشة ..

كان منزلاً عاديًا ، أشبه بأى منزل فى المنطقة ..

بلا تجهيزات خاصة ..

أو حراسـة ..

أو وسائل تأمين ..

منزل لا يشبه قط منازل الزعماء ..

ولكن من يدريه ؟!

قد تكون هناك وسائل خفية لا يراها ..

منازل الزعماء يجب أن تكون حتمًا محاطة بنظم أمن خاصة ..

أو حراسة مشدَّدة ..

لأنهم زعماء ..

هذا ما اعتاده ..

وألفـه ..

و ...

فجأة ، انتبه إلى أمر لم يكن فى حسبانه قط ، عندما بدأ مهمته ..

انتبه إلى أنه هناك آخرون ، يتحركون فى حذر بين الأظلال ..

ويحاصرون أيضًا نفس المنزل ..

منزل (محمود) الصغير ..

اختفى الدُّب فى مكانه فى حذر شديد ؛ محـاولاً أن يتوارى عن الأنظار ؛ ليفهم ماذا حدث ؟!..

ومن هؤلاء ؟!..

مـن ؟!..

كانوا يتحركون فى حذر شديد التنظيم ، كما لو أنهم ...

توقَّف التساؤل فى ذهنه بغتـة ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، عندما بدا له بعضهم واضحًا ، تحت لمحة من الضوء ..

إنـهم الأعداء ..

رجال أمن المخابرات التكنورقمية ..

إنـهم هنـا ..

يحاصرون منزل الثعلب ..

وقائدهم هناك ، يتخذ موقعه ، و ...

« هجـوم .. »

هتف بها قائد فرقة الأمن فى صرامة آمرة مباغتة ..

وانقض رجال الأمن كلهم دفعة واحدة ، على ذلك المنزل ..

منزل (محمود) الصغير ..

الثعلب ..

أحد زعماء المقاومة ..

ومع دوى تلك الموجات الترددية العنيفة ، الـذى مـلأ المكـان ، وعلى الرغم من ضخامته ، انتفض جسد الدُّب فى قـوة ..

لقد قرَّرت المخابرات التكنورقمية أن تواصل الحرب بلا هوادة ..

حرب الغـد ..

الحاسمة ..

* * *

عندما دوت تلك الفرقعة العنيفة ، فى قاعة مركبات الطوارئ ، أطلقت (مشيرة) صرخة رعب قوية ، وتصوَّرت أن تلك الحمم ستنهال إثرها على رءوسهم جميعًا ، وتذيبهم كما أذابت الأرضية ..

أما (سلوى) و(نشوى) ، فقد أغلقتا عيونهما فى ذعر ، والتصقت كل منهما بزوجها ، تنشد عنده حماية مبهمـة ، فى حين قفزت يد (أكرم) فى حركة غريزية نحو مسدسه ، فلما لم يجده هتف فى حدة :

ـ يا للسخافة !

(نور) و(طارق) وحدهما ظلا مفتوحى الأعين ، والأخير يغمغم بكلمات عصبية ، لم يتبينها الأوّل جيدًا ..

ولكن عيونهما لم تر شيئًا ..

فمع تلك الفرقعة العنيفة ، انقطعت الأضواء كلها دفعة واحدة ..

وساد صمت رهيب ، استغرق ثانية واحدة ، قبل أن يتألَّق جسد القائد الأعلى ، وهو يقول فى توتر :

ـ هذا لا يمكن أن يحدث .

تألق جسده المحدود أضاء المكان بضوء خافت ، جعل (نور) ينتبه إلى أن تلك الفجوة فى السقف قد انتهت تمامًا ، ولم يعد لها وجود ، لا هى ولا تلك الحمم العجيبة فوقها ..

(طارق) أيضًا أدرك هذا ، فهتف :

ـ رباه !.. لقد نجونا مرة أخرى .

فتح الجميع عيونهم إثر عبارته ، وانتبهوا إلى ما حدث ، فهتفت (نشوى) :

ـ ولكن كيف ؟!

حمل صوت (رمزى) كل الانفعال ، وهو يجيب فى خفوت :

ـ (محمود) .

فى البداية ، تصوَّر الجميع أنه يستنتج ما حدث فحسب ، ولكن قبل حتى أن يستقر ذلك الاحتمال فى وجدانهم ، ظهر (محمود) ..

أتى من خلف القائد الأعلى ، الذى قال دون أن يلتفت إليه ، ونبراته تحمل غضبًا هائلاً :

ـ إذن فهو أنت ..

حاول (أكرم) أن يندفع نحوهما ، ولكن (نور) أشار إليه بالثبات ، ثم أشـار إلـى الجميع بـالعودة إلـى مركبتـى الطـوارئ ، فهمست (نشوى) فى توتر :

ـ ولكن تلك الكرات البلّورية ...

قاطعها (نور) فى حزم :

تلك المركبات منيعة حتمًا ، ما دامت تخص القادة ، وستحميكم مما يمكن أن يحدث على الأقل .

فى نفس اللحظة التى نطقها فيها ، كان القـائد الأعلى يستدير لمواجهة (محمود) ، وهذا الأخير يقول :

ـ شعرت بطاقتى .. أليس كذلك ؟!

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ وماذا سواها يمكنه أن يفعل هذا بنظام طاقة ، مصمَّم بحيث لا يتوقّف أبدًا .

قال (محمود) ، وهو يواجهه فى ثبات :

ـ أغبياؤك شـحنوا جسدى بالطاقة ، فسحب كل طاقة المكـان ، على الرغم من أنوفهم ..

ثم شد قامته ، فبدا أكثر قوة مما اعتاده الجميع ، وهو يضيف :

ـ ومنحونى قوة هائلة ، لا قبل حتى لك بها .

اتخذ القائد الأعلى وقفة متحفزة ، وهو يقول متحديًا :

ـ هل تظن هذا ؟!

رمقه (محمود) بنظرة صارمة ، ثم التفت إلى (نور) ، قائلاً ، فى شىء من الحدة :

ـ ماذا تنتظرون ؟!.. اذهبوا ؟!

هتفت (سلوى) فى لوعة :

ـ وماذا عنك ؟!

أجاب فى حزم :

ـ سأمنحكم فرصة الفرار من هذا الجحيم .

ثم حمل صوته بعض التأثر ، وهو يضيف :

ـ أو لم أفعلها من قبل(*) ؟!

وتحوّل تأثّره إلى مرارة واضحة ، وهو يكمل :

ـ عندما كنت حيًّا .

هتف (نور) فى حزم :

ـ وما زلت يا صديقى .

(*) راجع قصة (الزمن يساوى صفر) .. المغارة رقم (100) .

كان من الواضح أن (محمود) يقاوم انفعالاً بشريًا جارفًا فى أعماقه ، وهو يقول :

ـ اذهبوا إذن .. وبسرعة .

قال القائد الأعلى فى حدة غاضبة :

ـ هذه المركبات للقادة فقط ، وأجهزتها لن تعمل من أجلهم .

قال (محمود) فى صرامة ، وهو يمد يده اليمنى نحو المركبتين :

ـ ستعمل .

مع قوله ، انطلقت من يده موجة عجيبة من الطاقة ..

موجة شعر بها الجميع ..

وأشعلت محركات المركبتين دفعة واحدة ، والقائد الأعلى يقول فى غضب هادر :

ـ أو تنفجر .

اندفع الجميع إلى المركبتين ، على الرغم من قوله ، وهتفت (نشوى) ، وهى تتخذ مقعدها ، وتحدّق فى تلك الكرة البلّورية ، التى اتخذت الرموز الهولوجرامية العجيبة داخلها شكلاً دائريًا ، يتحرك على نحو منتظم :

ـ إنها تعمل .

هتف بها (نور) فى صرامة :

ـ انطلقى إذن .

وضعت يده على الكرة البلورية ، فتألّقت المركبة كلها ، وقال القائد الأعلى فى صرامة ، والغضب يبلغ ذروته ، فى ملامحه وصوته :

ـ هذه المركبات لن تحملهم بعيدًا ، وأنت تعلم هذا .

قال (محمود) ، وجسده يتألّق على نحو مدهش :

ـ سنرى .

وتألّق جسد القائد الأعلى بدوره ، مع تألق المركبتين ، والسؤال ما زال يتفجّر فى قلب القاعة الصغيرة ..

هل ستعمل المركبات ؟!..

أم تنفجر ؟!..

هذا هو السؤال .

* * *

نهاية الجزء الثالث

حرب الغد

د. نبيل فاروق

- مازالت الأمور غامضة فى المستقبل ، الذى انتقل إليه (نور) ورفاقه ..
- مازال التساؤل يسيطر على الجميع ، حول من يستحق أن يحارب الفريق إلى جواره .. القيادة ، أم المقاومة ؟!
- حتى (محمود) أو نسخته الجديدة ، مازالت تحيا فى حيرة ، ومازالت تتساءل عن هويتها ..
- وفى كل الأحوال يبقى السؤال .. من يربح الحرب .. (حرب الغد) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل المستقبل .

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

158

الثمن فى مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية